ظمأ

مجموعة قصصية

دلال أديب

الملتقى للنشر و التوزيع

إسم الكتاب : ظمأ

إسم المؤلف : دلال أديب

التصحيح اللغوي : شفاء العوير

رقم الإيداع بدار الكتب : 2021/8617

ISBN : 978-977-85886-4-4

• • جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للدار

ولا يجوز نقل او إقتباس أو إختزال أي جزء من الكتاب دون الرجوع إلى الناشر و الحصول على إذن خطي مسبق منه.

•• تنويه: المحتوى الأدبي هو مسئولية الكاتب بالكامل.

الملتقى للنشر والتوزيع: 9 مكرر شارع ترعة الجبل ، برج سكر ، حدائق القبة ، القاهرة – مصر.

رئيس مجلس الإدارة :

حسام عزام

Moltaqapublishing@gmail.com

Tel: +20 109 901 6240

الإهداء

دائماً هناك قلوب خلقت لاسعاد غيرها
وبتواصلنا معها نشعر أن الحياة مازالت جميله
لاولئك الذين رغم المسافات زرعوا في دربي أمل
ونثروا خيرهم في طريقي فأزهر
وكانت مجموعتي القصصيه الاولى (ظمأ)بدعمهم الكامل
شكراً ملتقى ابن النيل الادبي
لدعمكم الكامل لطبع المجموعه
مع تمنياتي لكم بالتألق والازدهار الدائم

دلال أديب

المقدمة

عبرت حدود الوطن (ياسمينة الشام) كما يحلو لي ان اسميها القاصة دلال اديب باجتهادها وعصاميتها ومقدرتها الشخصية وخلفيتها الثقافية التي وضعت لبناتها طيلة الفترة التي سبقت كتاباتها .

لقد سكبت القاصة جل تجاربها الثرية في هذه النصوص المتنوعة ، وقدمتها في اول مطبوع لها وهو وليدها الأدبي الأول ، بعد أن قدمت نصها المميز (ضما) في مسابقة ملتقى النيل الأدبي التي أقيمت في مصر ، فحصلت المرتبة الثانية من بين عشرات النصوص العربية المشاركة في هذه المسابقة .

وضعت القاصة عصارة جهدها في هذا النوع من الأدب بعد رحلة طويلة من الصبر . ورغم ان (مسافة الالف ميل تبدأ بخطوة) الا انها استطاعت ان تتجاوز الخطوة الأولى لتنتصف طريق الابداع بروح التحدي والثقة بالنفس ، فاجتازت بكتاباتها مطبات وعثرات كثيرة لتفرض نصوصها بعطر الياسمين الشامي .

كتاباتها تلهمنا صورا متنوعة مرتبطة بواقعنا العربي الاجتماعي ، فكانت تحاكي آلامنا وهي تعيش الأحلام والأحزان معا فما بين الذكرى والواقع حكايات عن امل ضائع وامنيات مذبوحة على ارصفة الواقع ، احزانها مازالت تحفر في الصخر تنمو معها ولاتموت ابدا رغم الامل الذي يشع نورا في نهاية الطريق ليخبرنا بأن الظلام مهما طال لايمكن أن ينتصر على الضياء .

كتاباتها محملة بالوعي وعناوينها مبتكرة تترجم ظل أحزانها رغم محاولاتها المتكررة لخلع ثوب الحزن فكانت بكل تجلياتها تترجم وتختصر حضورها ووحيها بين اسطرها للقراء والمتابعين.

النصوص القوية أن نقول أشياء كبيرة وعظيمة بكلمات قليلة وأسلوب سهل يفهمه المُتلقي بسهولة مهما كانت ثقافته وهذا مانطلق عليه

بالسهل الممتنع حيث تطالعنا كتاباتها بما يلامس مشاعرنا وهمومنا وذكرياتنا المغمسة بذكرى الراحلين.

القاصة دلال أديب تأخذنا في اسلوبها وصورها ووصفها ودقة معانيها ومفرداتها اللغوية ونسيج أحداث نصوصها إلى ادب ايام زمان المميز انذاك الذي ينقلنا إلى أجواء الحياة العامة والمواقف بتفاصيلها ، الذكريات والحب والحزن والقيم الإنسانية النبيلة ، ومع هذا ظل الوطن حاضرا في كتاباتها فهي الياسمينة التي لن تذبل تمنح عطرها بلا حدود لوطنها المثخن بالجراح الذي بدأ يتعافى بابناءه.

ابارك للقاصة نجاحها ومكانتها الجديدة وفوزها الذي تستحقه واهنئها لوليدها الجديد (ضمأ) الذي جسد لنا التالق واخبرنا بأن القادم أفضل في مسيرة الابداع .

قاسم الغراوي
كاتب واعلامي
العراق_ بغداد

دلال محمود الدعاس من محافظة حماه الجمهوريه العربيه السوريه
مواليد 6 تشرين الثاني 1958
درست مراحلي الدراسيه الاولى في مدينتي (السلميه)
والتي تكنى بمدينة الفكر والشعر..
تابعت دراستي الجامعيه في جامعة حلب كلية الاداب والعلوم الانسانيه
بقسم اللغه الفرنسيه..
عملت في مجال تدريس اللغه الفرنسيه لمدة سبع وثلاثون عام
وبعد اتمام مهامي الوظيفيه والاسريه لم أرغب بأن يقال عني متقاعدة
فالعمر مراحل وأنت تستطيع بكل مرحله أن تبدأ بانجاز هدفاً
او تحقق حلماً وهذا ماحصل معي فبدأت بالكتابه التي هي رغبتي منذ زمن
وقد ساعدتني في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي..
حيث اشتركت في عدة مجموعات تهتم بالادباء والكتاب..
عرفت بمواقع التواصل باسم (دلال أديب) واستمريت بالكتابه فكتبت الخاطرة
والنثر وعدة مقالات متنوعه وحظيت بقبول والحمدلله
وكرمت كثيرا بشهادات تقدير وجوائز على مستوى الوطن العربي..
وتم نشر اعمالي في الصحافه العراقيه والمصريه وفي بلدي سوريا...
اتجهت بعد ذلك لكتابة القصه القصيرة،
كتبت الكثير وشاركت بمسابقات للقصه
وكنت أحصل على مراتب لكن أهمها وأولها هي حصولي على المركز الثاني
لمسابقة القصه القصيرة بمصر في ملتقى ابن النيل الادبي عن قصتي (ظمأ)
و كم أسعدني هذا الفوز وحملني مسؤوليه..
شاكرة الملتقى ودار الفراعنه للنشر وخاصة أنه السبب في طباعة باكورة
أعمالي بمجموعة قصصيه أخترت لها اسم القصه الفائزة(ظمأ)
التي أدعو الله أن تنال أعجابكم
داعيه الله أن تكون بداية لأعمال قادمه سائله الله العون والقبول....

غاب فترة من الزمن وانقطعت أخباره فقد كان من أشد سكان الحي شقاوة

لايسلم من أذاه ماراً قاطناً في الحي أو عابر سبيل..

لاأذكر كم مضى من الوقت على غيابه لكن الهدوء الذي عشناه وهو بعيد أتذكره تماما؛ لاأعود وأراه ذات يوم داخلاً الحي بسيارة فخمة زجاجها فيمي. أخذ سكان الحي يتهامسون ويتساءلون

فلا يركب تلك السيارة إلا من حصل على وظيفة في الأمم المتحدة ..

سوداء بريقها يصيب العيون بزجاج فيمي

وهو يعتليها وكأنها طائرة تسير على الارض..

عندما يمر امامك تحسب أن تسونامي قادماً لامحالة فالارض تميد بك وتهتز.يترجل منها متباهياً نافشاً ريشه كالطاووس وأمامه يتراكض لوحان بأجساد كأنها صبت بقوالب؛ زنودهم مفتوله وصدورهم يستقر عليها النسر..

يرتديان نظارات تخفي ذلك اللؤم بالعيون، تهرع قطط الحي وصغاره خائفه من سطوته وجبروته، يدخل المتجر فترى كل من بالداخل وكأن في أجسادهم نوابض تحركهم يتسارعون لتلبيه مايريد..ثم يقفون لتحيته عند خروجه..لايسأل عن فاتورة أوسعر ويلقي برزمة من النقود ثم يخرج محدثاً ضجيجا ويتطاير الغبار عندما تتحرك عجلات السيارة

فيتنفس الجميع الصعداء لذهابه..

سألت أحدهم عنه ومن أين كل ذلك لأعلم أنه الحارس الامين على الخط الأمامي لبلدتي والباصم بالقبضة الحديديه لكل قادماً قاصياً كان أم دانيا.

مرة ثانيه جلست وأمسكت هاتفها ويداها ترتعشان،

تسارعت نبضات قلبها وتداخلات أمام عينيها الكلمات،

تحجر الدمع في مقلتيها وتبعثرت الحروف

يا إلهي ماذا أرى؟؟ وماذا عساي أقول ؟؟

فعلى تلك الشاشة الزرقاء أعترف لها بحبه

وبشوقه وأنه المتيم والعاشق المجنون..

وبدأت رحلة التوتر وحديث النفس..

أتصدقه؟

وهل من المعقول أن يكون ذلك حباً؟

كيف ؟ وهم لم يلتقيان!!

طالبها بالحب وأن تقولها ولو مرة واعترف لها بحبه

وأنه أدمن كلماتها والحروف..

لكنها أبت أن تستجيب له فذلك ضرب من الجنون..

ليس لأنها لم تحبه وترتاح لحديثه .

بل لأنه الحب المستحيل...

ناداها: حبيبتي اسمعيني أعدك أن نلتقي في قادم الأيام..
قاطعته: أرجوك لاتقلها فذلك مستحيل أن يكون..

تفصلنا المسافات والحدود..

لكنها رغم اعتراضها شعرت ولأول مرة بسعادة ملئت صدرها

ودق في قلبها ناقوس الحب..

وتلاحقت نبضات قلبها عندما حدثها بصوته الحنون..

أقفلت سماعة الهاتف وأجهشت بالبكاء

وحدثت نفسها من جديد: كيف أصدق وهم صنعته تلك الحروف..

وتمالكت نفسها وتراجعت في أخر لحظه

فقد كادت تعترف له وتكتبها كما أراد لكن يداها توقفتا

وتجمد القلم بين أصابعها

وحبست مشاعرها التي كادت تصرخ: أحببتك ولن أبوح

وسأبقيها مخبئة في صدري،

سأتمتم حروفها بصمت لتبعث في نفسي الأمل والتفاؤل..

أعاهدك أنها لن تخرج سأبقيها معتقة فائقة الجمال

لأنها لوخرجت فسيصيبها الملامة من الناس..

وسأترك مشاعري وشوقي للزمان فأنا أعلم أن حبك هو المحال..

وأغلقت هاتفها واستسلمت لنوم عميق.

هدرت الطائرات ودوى صوت قوي هز المكان تبعه انفجار

جعل الأرض تتحرك من تحتنا وكأن تسونامي حصل في الأرجاء

تعالت الأصوات من كل اتجاه وانتشر الدخان الأسود

في الأجواء فما عدنا نرى شيئاً على الإطلاق..

والصخور كانت تتدحرج فوق الناس لاتحرم أحدا منهم

وتناثرت لأشلاء في كل مكان..

هذا ما أذكره في ذلك الصباح الذي كان يبدو هادئاً

إلا من حركة المارة والباعة.. عادة تزداد الحركه قبيل العيد بأيام..

فيزدحم السوق بالناس كلٌ يشتري حاجيات العيد من مأكل وملبس..

كان بالقرب مني ولدي محمد يحدثني عن العيد

ويسألني إن كنت سأشتري له ثياب العيد

أجبته: بالطبع ياولدي لك ماتريد..

لن أنسى تلك الابتسامه الصغيره التي جعلت أسارير وجهه تنفرد

ليشرق وجهه الطفولي كشمس الصباح..

وعلى الطرف المقابل للرصيف كان هناك فتاة تحتضن قطتها

وتراقب فستاناً مزركشاً من كل الألوان تحلم به

وتمني النفس بارتدائه صباح العيد..

وكان ماكان..ومات المكان....

وصحوت من تحت الركام نفضت الانقاض والغبار

ودرت كالمجنون والدماء تسيل لا أعلم من أين..

بحثت لم أجده بادئ الامر وفجأة رايته

يا إلهي ها هو على جلسته مختبأ تحت الطاوله..

كان وكأنه سليم ليس به شيء، اقتربت منه احتضنته لكنه لم يتحرك

حملته وأسرعت لسيارة الإسعاف كانت قد قدمت للانقاذ

أخذوه وبذلوا جهدا كبيرا لكن ذلك القلب الصغير

لم يحتمل ذلك الصوت القوي وتوقف النبض فيه..

ونظرت للجهة المقابله وإذا بالفتاة تحتضن قطتها

والدماء تسيل على جسدها الذي كانت تحلم أن تُلْبِسُهُ ذاك الفستان

وعيونها مفتوحتان ومعلقتان عليه..

في كل ليلة أغلق أبواب العالم وأهرب لعالمي الهادئ الأنيق،

أرتب أشيائي وأجلس أمارس هوايه أعشقها فأخط أروع كلام..

يستغربون عزلتي ومحبتي لوحدتي هم لايدركون أن فيها سعادتي

وأنها جنتي، فهي درء للخطايا والذنوب

بعيدا عن النميمه والوقوع بالعيوب...

لا يشاركني في ليلي إلا أصدقاء عرفت فيهم الإخلاص

ولمست فيهم صدق المشاعر؛ أبوح لهم بما لا أستطيع البوح به لأحد

سواهم أبثهم همومي، أحزاني وأفراحي يحفظون أسراري

ثم فجأة وأنا في قمة الانسجام والخلوة يطرق الحزن بابي

ويسألني: من معك؟؟

فانهض وأمشي متثاقلة الخطا

أفتح الباب له قائلة: لا أحد تفضل...

هذا حالي في كل ليلة إلا أن ينبلج الصباح وتشرق شمسه

فتعيد لنفسي بعضا من هدوئها..

وذات صباح سمعت أصواتا بالباب وصوت امرأة قد علا في الدار..

نهضت من فراشي مسرعاً وفتحت لها الباب كانت امرأة شقراء

ترتدي العباءة وبيديها تلمع الأساور من كل الألوان

وأصوات الخلاخل عند مشيتها تملأ المكان

..لم تدعني اتكلم وبادرتني بالسؤال:

ألا تريدين أن اقرأ لك الفنجان؟؟

ترددت بادئ الأمر فلم أعتد على ذلك وما تيقنت يوماً بكلامهن..

لكنها لم تعطني فرصة لاتخاذ القرار وقالت

:ياصاحبي ستحلو القهوة السمراء في الصباح مع فاتنة مثلي شقراء

أغرتني بكلامها العذب وصوتها الرنان، أذنت لها بالدخول؛

صنعت القهوة وكلي شغف لأسمع ما ستقول..

لن أنسى يومها نظرتها التي حملت الكثير من المعاني عندما تمعنت

في فنجاني وقالت: فنجانك ياولدي مملوء..مملوء

سألتها مستغربا بفضوب لأعرف أكثر

:بالله عليك ياسيدتي ماذا رأيت بالفنجان؟

:إني أرى خطوطا لا أفهم ماتعني أتحفيني سيدتي ما الأمر؟؟

:أرجوك أبحري في الزوايا والأركان وقولي ماذا يخبأ لي الزمان

تكلمي معي بصراحه ليطمئن قلبي..

تنهدت واستطردت قائلة: ياولدي ما بالك مهموم؟؟

ولماذا هذا الحزن والقلب المكسور؟

خفف عنك ياولدي أني أرى أن ينبوع عطاؤك قد جف

وأغصانك قد ذبلت وأرى جنات كانت لك لكنها يبست..

فيك وجع وشوق وحنين أكل هذا تحمل يا مسكين؟؟

لم تدعني أكمل وتابعت حديثها وكأنها رأتني قد تأثرت

فحاولت زرع الأمل في قلبي المكسور..

يا ولدي انظر لأسفل الفنجان إني أرى نورا بعد وهلة من الزمان

وستعيش إن شاء الله بسعادة وأمان

لكن ارجوك خفف عنك وانسى ماقلته لك في بداية الكلام

وتمسك بالنور القادم مع الأياك..

شربت فنجانها وجعت أغراضها وقبل أن تخرج ابتسمت لي وقالت

:لاتحزن يا ولدي وتفكر كثيرا وتذكر أن كل ماقلته كلام في كلام....

إن سألته عن أحواله يجيبك مبتسماً :الحمدلله

وكلنا نعلم أنه ليس كذلك، لكنه لايستطيع البوح بوجعه الذي يعاني منه

كلما رأى نظراتهم وهمساتهم عندما يخرج بكرسيه المتحرك لباحة المدرسه...

تأبى كرامته الشفقه فينزوي وحيدا في الباحة..

لا يكلم أحدا ولايقترب منهم لشعوره بالنقص.. فإعاقته تمنعه من الحركه

إنه حسن الذي أصبح صديقي بعد أن تجرأت ذات يوم واقتربت منه

ماعرفته إلا رقيقاً؛ بشوشاً ومحبا للجميع..

حييته واستأذنته بالوقوف بجانبه فابتسم كعادته ابتسامة ملائكية تشرح الصدر؛

تبادلنا أطراف الحديث ومن ثم سألته وللمرة الأولى

عن أحواله ولمَ ينعزل عن الجميع..

تنهد تنهيدة أفرغت مابصدره من هموم قائلا

:يا صديقي في صدري وجع نظراتهم تؤلمني؛

وابتعادهم عني يطفئ شعلة الأمل؛ ويوقد جذوة الإحباط في نفسي..

اعاقتي سببا في حزني لكن فقدي لوالدتي بذلك الحادث المشؤوم

هو أكثر وقعاً وتأثيرا على نفسي..

وانهمرت الدموع من عينيه؛ حاولت تهدئته مشجعاً إياه..

وذكرته بوضعه الدراسي فهو متفوقاً على أقرانه بكل شيء

وترتيبه رغم اعاقته الأول في الصف..

جفف دموعه قائلاً:

أشكرك ياصديقي فقد كنت بحاجة لأحد كي أفرغ ما بصدري من وجع..

لكن لاتخشى علي فأنا قوي، وعاهدت والدتي قبل أن تفارق الحياة

أن أقاوم وأتابع دراستي وأن أكون كما تحب ولن يثنيني عن ذلك شيء..

اقتربت منه؛ قبلت جبينه قائلاً :نعم يا صديقي أريدك كذلك

فأنت تتفوق علينا جميعاً وقد أثبت لنا أن الاعاقة بالجسد

وليست بالقلب والعقل..

-أتسمح لي يا صديقي بأن أقودك للصف...

-بكل سرور...

أمسكت مقود الكرسي المتحرك ودخلنا الصف

كنت واثقة تماماً أن هناك شيء حدث له في حياته جعله يائساً حزيناً

لكني ماتجرأت يوماً على سؤاله

وفي يوم قررنا الذهاب سوية بعد المدرسة لأحد مقاهي البلدة

وفي الموعد المحدد إلتقينا في المقهى

اخترنا طاولة في أحد الاماكن المطله على منظر جميل

حيث الطبيعه بأجمل مناظرها..

كان الجو هادئاً ومريح وموسيقا هادئه لأجمل ماغنته فيروز..

فقد كان الوقت صباحاً ومع قهوة الصباح لايحلو للمرء إلا سماع فيروز...

كان صديقي جدا سعيد وتبادلنا الأحاديث كل منا تحدث عن طموحاته

وماذا سيفعل بعد الإنتهاء من الثانويه العامه..

هو كان يفضل أن يتابع دراسته في كلية الحقوق

فقد كان مولعا بالأمور القانونيه وانا أحب الهندسه..

وعلا صوت فيروز مدويا في المكان تغني (اشتقتلك ياستي)

نظرت عليه واستغربت توقفه فجأة عن الحديث ودموعه ملئت عيني

قلت له: ما بالك يا صديقي أتحب أن نذهب؟

أجابني: لا تشغل بالك بأمري هي ذكريات داعبت ذاكرتي لدى سماع الأغنيه فحركت حنيني وشوقي..

-حدثني بالله عليك ما الأمر فأنا منذ مدة أراقبك وأراك حزيناً وأود أن أعلم مابك لو سمحت علني أخفف عنك بعض مابك..

قال لي والدمعه تملء عيونه كان لي جدة هي كل عائلتي

لإنها تكفلت بتربيتي بعد فقدي لأسرتي أثر حادث..

كانت لي كل شيء حديثها يسحر روحي ويثلج صدري ويخفف يتمي

لم تبخل علي يوماً بعاطفة؛ منحتني الحب والحنان وكانت مدرستي

فعلمتني كيف أقاوم الحياة؛ غرست فيني مكارم الأخلاق..

كان يتحدث ودموعه تجري على وجنتيه، احتضنته قائلا:

- خفف عنك ياصديقي وماذا حدث لها؟؟

- ذات مساء ارتفع ضغطها ولم يكن باستطاعتي أن أفعل شيء

إلا أن أنقلها للمشفى؛ لكن الموت كان أسرع مني وأخذها

لأبقى وحيداً تحرسني دعواتها، لن أنسى آخر ما أوصتني به

وكأنها تعلم أنها سوف تفارقني..

- يا بني أنت نبض يسري في قلبي فاسمع ما سأقوله لك

واحفظه جيدا؛ لا تدع ايامك تمضي دون هدف فقطار العمر أسرع

من أن ينتظرك وقاوم الحياة بصبر وتوكل على الله في كل أمورك؛

يا بني احفظ الله يحفظك فبحفظه تجني وتثمر

كن خلوقاً، رحيماً وعطوفاً وأسأل ربك دائما الهدايه فبهدي الله أيامنا تمضي

أنهت يومها حديثها واحتضنتني...

ومضت أيامي باردة بعد فقدي لحضنها الدافئ ولصدرها الحنون

لكن بقي كلامها نورا لأيامي..

وعاد من جديد صوت فيروز مدويا في المكان

وأخذ يدندن معها ودموعه تنهمر

(ايه ياستي اشتقتلك ياستي)

غلبها حنينها كعادتها كل ليلة وشدها لذكريات الماضي

فغدت في مكانها بلا حراك تسترجع أيامها بأدق التفاصيل

نادت خلان ليلها فلم يستجيبوا لندائها تلك الليله

حاولت أم تستجمع أفكارها وأمسكت بقلمها عله يطاوعها كعادته

فتخفف عن صدرها ذلك الحمل الثقيل

حدث ذلك في ليلة شتوية باردة وكأن صقيع الشتاء

قد أصابه فتجمد بين أصابعها وبدأت تحدث نفسها

:أين تاهت تلك الحروف وأين ضاعت كلماتي

تسارعت نبضات قلبها وارتجفت قائلة

:ويحك ياصديقي أتخذلني؟

ألا تريد لصدري أن يفرغ ما بداخله؟

ألا تريد لجرحي النازف أن يبرأ؟

تباً لك من صديق...

قهر ألم ووجع دمار خراب وتشرد

تلك هي مخلفات الحرب الملعونه التي أصابتنا

مشيت في ظلمة الليل أبحث عن مأوى

أحمل حقيبة مليئة بالهموم فوق ظهري

لايستر جسدي في هذا الجو البارد

إلا ثوباً رثاً ممزق فقد دمر ذلك الصاروخ ومزق كل شيء

أبادت الحرب كل شيء ودمرت الحجر والبشر

ولم يبقى في ذلك المكان الكئيب إلا أنا أمشي تائهاً

لا أعرف لطريقي نهاية ولا لحياتي بدايه

لست بحاجة لرفيق فقد عودتني الحرب أن أسير في الليل وحيداً

وعندما تشرق الشمس أنزوي على قارعة الطريق

وأرقد مطمئناً حيث لا ظلمة ولا سواد ولا خوف من خفافيش الليل

الذين كثروا وتكاثروا في هذه الحرب

يمر الكثيرين من جانبي ولم يأبه يوماً أحدا لوجودي

وحده ذلك العجوز الذي رأني اقترب مني وكأنه علم بحالي

أيقظني بلطف قائلاً

: يا بني انهض وتعال لبيتي فأنا أعيش وحيدا

لازوج ولا ولد فقد فرقتنا الحرب في ليلة رعناء..

انتفضت من نومي لم أقاومه فقد كنت بأمس الحاجه ليد حنونه

تزيل قساوة الأيام وتربت على كتفي

ومشينا كلا منا يستند على الاخر..

ذات صباح هبت رياح عاتيه وعلى قلبي لم تكن حانيه

لم يكن آوانها لكنها وبغفلة عن الزمان زمجرت

ولشجرة عمري اقتلعت فذبلت وبسرعة سقطت

وبسقوطها ضاع وتاه عني كل شيء فلقد فقدت النور والضياء

وضاع الأمل والرجاء

ودارت بي الأيام وتساءلت

أكان ذلك حلماً؟

أم تراه كان كابوساً؟

وسوف أصحو منه يوماً؟

لا أبداً لم يكن كذلك

كان واقعاً وبغفلة من الزمن حدث

وفي بئر من الأحزان سقطت سعادتي وانتهت حياتي وكان عزائي في وحدتي

لجوئي لربي أناجيه وأبثه آلامي

إلهي قد هدني المسير وارتد لي البصر وهو حسير

قلي يا حبيبي كيف السبيل لراحة وكيف لقلبي

السكينة بعد هذا الأنين؟

وكيف لأحلام رسمتها بريشتي وبيدي أبدعت تلوينها أن تتحقق وتصير

ليس إلاك يا حبيبي ملجأي وسندي في وحدتي

ومرت الأيام ثقيلة بغيابه وفقدانه

وذات يوم

وقفت بخشوع أمام ضريحه وقلبي يصرخ وجعاً

حدثته وكأنه يسمعني

بكيته بحرارة لم تستطع أن تدفأ صقيع روحي بغيابه

لا طعم للحياة بعدك تساوى الزمن فاليوم كالشهر كالسنه

لا فرق وكأنهم اتحدوا لأتذوق

بهم مرارة الحياة

أتدري أن رحيلك استدرجني لخريف العمر

فباتت الأيام صفراء وأخذت أوراقها تتساقط

أدثر ذاكرتي بغطاء النسيان وابتسم للجميع ليمضي كل شيء بسلام

وأعود لعزلتي فأبكيك سراً إلا أن أغفو

تزورني أحيانا في المنام لكنك لا تطيل المكوث

أهرع لأناديك ويرتد صدى صوتي ليوقظني من ذلك الحلم المرير

وأنهض فأضيء قنديلي وأغلق أبواب ذاكرتي

لتهدأ نفسي وترقد همومي بسلام

تلافيف ليل مظلم اختفت النجوم وغاب القمر

ولم يبق سوى تلك النفوس التي حاولت الهدوء

لكن ضجيج القلوب وأنين الارواح أحييت ذكرى الأمس القريب

واستفاق في الخاطر وثرثرت للروح فهامت

وتاهت في الأفق البعيد تبحث عمن غائب عن العيون

وكلها شوق وحنين لحبيب عن العين بعيد

نظرت للسماء علها ترى صورة تعيد للروح قواها

ولقلبها نبضاته التي كادت أن تتوقف

حاولت وحاولت أن تركن لنوم هادئ

لكن سعيها قد ضل وكل أمل صار كالهباء المنثور في الدروب

حدثت نفسها ماذا عساي أفعل؟

وكيف السبيل؟ وقد انهكني وهدني التفكير؟

وأحست بنور خفي شع في ذلك الظلام المقيت

إنه نورمن الله قذفه في قلبها المتعب المسكين

فنادت في جوف الليل وارتفع صوتها قائلة

:إلهي من لي سواك مؤنساً وهل غير لطفك لي منقذاً؟

إلهي وأنت تعلم كيف حالي

أعد يا رب لقلبي نبضه ولروحي قوتها

وأجبر خاطري وأزل همي فبذكرك ربي كل هم ينجلي

وارحم فؤاداً لكريم لطفك يطلب

اختارت لنفسها مساحة بعيدة عن كل شيء

مختلفة لا تشبه الأماكن التي اعتادت أن ترتادها

وقد تقصدت ذلك كانت تهرب إليها عندما تضيق بها الحياة

تجلس فيها لترتاح عندما ينهكها التعب

ويشتعل القلب شوقاً وحنينا

تجلس وحيدة علها ترتاح من تعب أنهكها

تشعر أنها تستمد منها قوتها عندما تضغف

تلجأ إليها لتحميها عندما تخاف

لقد كانت لها الصدر الذي يحتويها ويضمها

عندما تريد أن تبكي وبأعلى الصوت تصرخ

إنه المكان الوحيد الذي يشعرها بالأمان

وفيه يختفي الألم والوجع ربما لأنها اختارته بنفسها

ولأنه يخصها لوحدها وليس لأحد فيه أي شيء

تفضي إليه بأسرارها وتمضي فيه ساعات

ولاتخرج منه إلا عندما تريد وبالوقت الذي ترغب

حقا إنه جنتها في الدنيا

تلك هي صديقتي التي كانت مختلفه بكل صفاتها

إنها امرأة غير عاديه

رقيقة كنسمة في عز الصيف

شفافة كجناح فراشه وتارة تراها صلبة كحجر الصوان

لا تلين ولا تكسرها أعتى المطارق

نعم شفافة ورقيقه تجرحها كلمه سمعتها بغير وقتها ولم تعجبها

لكنها تقاوم الحياة بقسوتها ولاتكسرها

ولايمكن لشيء أو أحد أن يجرحها

وحيدة حزينه أحنت ظهرها الهموم

وزادت عليها بعد فقدها لكامل عائلتها في هذه الحرب الملعونه

لكن رغم كل ذلك فالابتسامة لا تفارق محياها

ويزهر جرحها نازفاً أجمل الابتسامات والضحكات..

رأيته صدفة بعد غياب طويل لم أعرف له سبباً

كان أكثر من صديق إنه أخ وجار تربينا بنفس الحي

وجمعتنا مقاعد الدراسة وجلسات شبابية

رغم التفاوت المادي بيننا لكنه كان نعم الرفيق الكريم مع كل أصدقائه

سمعته يجادل البائع يا إلهي أعرف هذا الصوت

أحيا ذكريات دفنها الزمن

نعم أعرفه جيدا إنه صديقي "علي"

نظرت إليه من بعيد والدهشة تعلو وجهي متسائلا

: ماذا فعل بك الزمن يا صديقي

أتجادل على سلعه وأنت الذي كنت تبذخ بالنقود يمنة ويسرة دون حساب

سمعته يقول للبائع

:أرجوك أنا لا أحمل إلا هذه فاقبلها وأعطني حاجتي

وسرحت بأفكاري عائدا لأيام خلت وكيف كان يساعد الجميع

اييه يازمن لا أمان لك

إن أردت كسرنا لن تتوانى ولن يجبرنا إلا الجبار

أيعقل يا صديقي أن أراك ضعيفا منكسرا وأنت الذي كنت حنونا مع الجميع

لن أنسى ما قدمته لي وأن كل ما أنا فيه بمساعدتك أنت ووالدك

تمنيت لحظتها لو الأرض ابتلعتني لكنه لحسن الحظ لم يعرفني بادئ الأمر

اقتربت منه بعد أن حاسبت التاجر على ما يريد

استغرب تصرفي محاولا منعي لكني ذكرته بجملة كنا نرددها

طأطأ رأسه خجلا مني وأخفى دمعة تحجرت في عينيه

لم أسأله شيء حتى لا أزعجه لكن ذكرته بأيامنا وليالينا

وفجأة أخذ يحدثني شارحاً لي أن والده توفي تاركا له ديون طائله

لم يستطع تسديدها فاستولوا على كل أملاكهم

ولم يبق له سوى مرتب بسيط يسد به رمقه

واسيته وعرضت عليه أن يعمل معي

حاول الرفض لكنني ذكرته بأن ما أنا فيه بسببه هو ووالده

قلت له:

يا صديقي والله ما نسيتك يوما وفضلك بعد الله لن أنساه

دعني أرد لك جزء بسيطا من جميلك

اقترب مني معانقا فاحتضنته ومشينا معا نتبادل أطراف الحديث

صرخت بصوت شق صمت ذلك الليل الدامس

واصلاً عنان السماء لكن صوتها تاه وسط الحجارة المتساقطه

وتغلغل في الغبار الكثيف فلم يسمعه عابراً أو يستجيب لصراخها مجيب

وأخذت في مكانها تدور كرحى الطاحون

وحجارة من سجيل تتناثر حولها تارة تصيبها

فتوقعها وتارة تنهض متثاقلة من جديد

تبحث رغم الجراح والألم عن وحيدها بين ركام تراب بيتها المهدم

نفضت بقايا التراب والغبار عن عيونها والجفون

علها ترى أثراً لولدها المفقود لكن هيهات وهيهات

ليتها بقيت مغمضة العيون لا ترى ذلك المقدور

أثاث تبعثرت وجدران تهدمت وسقوف سقطت

أخذت تبحث وتنبش التراب والحجارة المتراكمة كالمجنونة

لكنها عبثا تفعل فالجدران تساقطت ولا أثر لأثاث واضح

تصرخ باكية وتنادي:

ولدي أين أنت يا نور العيون

حاولت أن تتماسك وتستعيد توازنها لتجدد البحث

لكن حجم الدمار كبير ووحيدها لا أثر له

وهي وحيدة في مأساتها لا معين لها سوى ربها
تصرخ وتدور باحثة عن روح ضاعت في المجهول
تناديه رغم صغره ولدي يا سندي أجبني وعد لروحي وقلبي المكلوم
أنت من بقي لي بعد استشهاد أبيك
وعد لا ترحل أرجوك
وفجأة تسمرت وتوقفت عن صراخها
وأخذ جسدها المنهك يرتجف أصابتها قشعريرة من هول مارأت
رباه إلطف بروحي
لقد ضمته جدران غرفته المتهدمه عند سقوط الصاروخ
صرخت بأعلى صوتها دعيه أيتها الجدران اللعينه
فأنا أحق منك فيه وأحن عليه من ترابك الملعون هيا ابتعدي
حاولت رفع الانقاض والحجارة لكن دون جدوى
لقد سرقته تلك الحجارة الملعونه
وأحرقت قلب أمه المجروح وعجلت له بقدر مشؤوم

في طريق مزدحم كانت ذاهبة لجامعتها على عجل سقط منها كتاب

انحنت لتلتقطه لكن يداً قبلها تناولته

وقبل أن ترفع رأسها امتدت تلك اليد إليها بالكتاب

رفعت نظرها لترى فتلاقت العيون

وتاهت النظرات وكأنهم أغراب ولم يكونوا يوماً أحباب

نسيت يده الممدوده بالكتاب وحدثت نفسها قائلة

:ما أصغر الدنيا وما أعجبها مهما حاولنا أن نغلبها

ونقوى عليها تغلبنا وتأخذنا على حين غرة وتعيدنا إلى لحظة البداية

وتساءلت أيعقل بعد هذه السنين أن ألتقيك؟

وبعينيك أعود وأستميت؟

وأنا التي اتخذت ذات يوم أمراً ليس سهلاً

لكنني يومها قررت بعد أن فهمت الدرس جيداً

ربما قد تأخرت بقراري لكنني قد فهمت ذلي وانكساري

وأنك كنت تحاول أن تشح بوجهك عني

أتذكر يومها قد قلت لك

هيا ارحل وأنا سوف أنسى

وعلى قلبي سوف أقسى

ولحب كان حاضراً ثم أمسى

ربما قلبي بك قد تعلق

لا تقل أنك تهتم لأمري

فقد عرفت أنك لست قريباً مني

واعْلَمْ أنك أصبحت أخر همي

هيا غادر لا تحاور لا تخادع

قد كشفت لك كذبك

سامح الله القدر

كيف على قلبي انتصر

وتسللت لحياتي!

قد ظننتك حباً!

أتراك كنت وهماً؟

هذا ما كان وافترقنا بعدما عز اللقاء

والآن قد أعادك صدفه القدر لكن

لا تحاول لن أعيد لحياتي ما اندثر

وأنا التي لم أشعر يوماً معك بالأمان

أعطني هيا كتابي ثم ارحل

لن أعيد حكايات كانت في سالف العصر والزمان

ولن أسير معك في دروب العاشقين

ولكن سأدعو الله أن تبقى بحفظه وقلبي المسكين

تجملت وارتدت أجمل الثياب وتعطرت بأرقى العطور

وذهبت حيث ذهب جميع أهل القريه

وقفت بينهم كل ينتظر غائبه ممسكاً شمعة أضاءها

حاولت أن تفعل مثلهم لكن تلك الشمعه أبت أن تشتعل

فكلما أشعلوها انطفأت كأنها شعرت أن شيئاً ما سيحدث

عبثاً حاولت فلا الشمعة استجابت ولا النار اشتعلت

غير أن نيران قلبها أخذت تشتعل فتأكدت أن غائبها لن يعود

نظرت لتلك الوجوه بقلب يملأه الأسى والحزن وتمتمت

:كم أتمنى أن أمسك قلمي وأكتب

عن فرحهم الذي رأيت وشوقهم الذي ظهر في العيون

وأن أرسم تلك القسمات والتعابير في الوجوه بالحروف

لكن جرح بداخلي بدأ ينزف وحال بيني وبين ما رأيت

وعرفت أنه لن يبرأ

وأخذت روحي تعزف لحناً حزيناً

وتبوح ببعض الكلمات:

يامن كنتم ثم غبتم ولبستم الموت ثوباً وارتحلتم

ونقشتم في القلب جرحاً ليس يبرأ

وحفرتم في الروح
وجعاً لن تداويه السنين
هاجت الذكرى والشوق والحنين
فبذكراكم نبض قلبي يتحرك
ولرؤياكم اشتاقت الروح
فتناثر الدمع فياضاً في المقلتين..
سلام عليكم يا من كنتم الغذاء
للروح وبسلم الجروح....

تحابا ولكن ما لبثوا واختلفا

وذات خلاف قررت الابتعاد عنه

وكان قراراً لا عودة فيه

فكتبت له قائله

: كلما حاولت يا وحيدي أن أنساك أذكرك أكثر

قرأ ماكتبت له ورد قائلا

:كم أنت قريبة من قلبي ومحاولاتي يائسه في التخلي عنك

إليك وحدك انتمائي وأنت لي كل شيء

لا عليكَ مني فالأيام كفيلة أن تبدد المشاعر

وتحول القلوب لحجارة صماء

لكن سيبقى لك في ذاكرتي شوق معتق

بحنين للماضي الذي أخذ يتسلل خفية لسواد ليلي

فيضيء ذاكرتي ويسرق هدوء ليلي

ويبث في قلبي المشاعر من جديد

يؤرقني ثم يتركني بصمت أبكي

سأخبرك أمراً لقد ضعف القلب وزاد علي الوجع والأنين

أعدك أن أقاوم وأتماسك من جديد

فما زال في الحياة متسع لشوقي إليك والحنين

مع صوت المؤذن ارتفع صوته منادياً زوجته

: أما زلت نائمه هيا انهضي قد فاتك الكثير

فقد بزغ الفجر والشمس أخذت تنشر خيوطها الذهبيه

لتحيك للطبيعة أجمل الأثواب

أما سمعتي ها هو المؤذن ينادي ليوقظ من كان حياً؟

_نعم نعم ها أنا استيقظت

نهضت متثاقلة متعبة يشدها اليأس

والنوم لفراش ليس بالوثير

لكن مع نسمات الصباح العليله

تحرك شيئا داخلها ليجعلها تنهض مودعة هموم أمسها

تحت وسادتها واستعدت ليوم فيه من التعب الكثير

فتحت نوافذ قلبها للحياة ثم نوافذ غرفتها

واستقبلت تلك الخيوط التي أضأت قلبها والمكان

توضأت وصلت ثم جلست

تردد وردها مستمتعة بأعذب تراتيل صباحيه من جميع الكائنات كل بلغته

حضرت بعض الطعام والشراب وانطلقا

يدفعهما الأمل بأن ما عند الله خير

وأن القادم أجمل إن شاء الله

كم كانا سعيدين

إنها سعادة لايعرفها إلا من ذاقها

إن تبدأ يومك بابتسامة

معها يشرق الأمل بأن كل جديد فيه شيئا سعيد

أمسك بيدها وأخذ يدندن ببعض الأغاني

حتى استقر على أغنيته المفضله والتي اعتاد على غناءها كل صباح:

ياصباح الخير يللي معنا

يلي معانا الكروان غنى وصحانا وصحانا

شيء أيقظها ناداها بصوته

: أنا عدت فقد اشتقت إليك

نهضت من فراشها مذعورة

تعثرت بأشياء فالغرفة مظلمه

إلا من شعاع آت من زاوية

لمحته يبتسم لها

ركضت باتجاهه

مدت ذراعيها لتحضنه

فاصدمت بالحائط وسقطت

رأيتها تنتظر بدا عليها الألم ووجهها تكاد قسماته تتكلم وجعاً

عيناها تمتدان للبعيد وكأنها تنتظر غائباً

وقفتُ طويلاً وأنا أرقبها ثم تناولتْ من محفظتها

قلماً وورقه وجلست تريد أن تكتب

اقتربت منها وسألتها

:لمن تكتبين؟ حسبتك تنتظرين قادماً فقد رأيتك تنظرين للبعيد

رمقتني بنظرة فيها من كل المشاعر

فيها تعجب وحيرة من سؤالي تحسبني أعرف وضعها

:لا أدري ما أقول لك هي الروح تكتب ولست أنا

:أراك شاردة الذهن هل تبحثين عن ضائع؟

:عيوني معلقة في لسماء

ويداي تكتبان لغائب

كان يعز عليه فراقي وهاهو قد غاب

ولم يعد وأنا كل ليلة أقف عل شرفة الإنتظار،

أحسبه عائداً وأنا على يقين أن غيابه سوف يطول ولن يعود

قلت لها

:وماذا تكتبين؟

: صدقيني لا أعلم

هو قلمي ينزف ما يكنه قلبي من وجع وآهات

وقلمي يدون ربما شوقاً وحنين أو لوماً وعتاب صدقيني لا أدري

تركتني وجمعت أوراقها وأشياءها

وكأنها تلومني لأني

قطعت عليها خلوتها مع أوراقها

وسمعتها تردد

:أيها الساكن في عروقي

دعني أخبرك أن قلمي ما عاد يكتب إلا إليك

دعني أخبرك وأهمس لأوراقي وقلمي

أن في غيابك كل حواسي صماء

وأنا وحيدة في عالم الغرباء

لم تهز أصوات القذائف في مشاعره قيدُ أنمله ولم تخيفه

مع أنها كادت أن تودي بحياته أكثر من مرة

ولم يثنه أي شيء عن أداء واجب فرض علي

كما شباب وطنه الجريح

فقد كان وطنياً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى

لم يترك قط نوبة حراسته أبدا ولا لأي أمر مهما كان صعباً

في ذلك اليوم المشؤوم كان قد أنهى مهمته في الحراسه

وذهب ليرتاح بعد يومين من الأرق والحذر الذي ينهك الجسد

استيقظ على صوت هاتفه يرن

نظر للشاشه وتناوله بسرعة مجيباً

:حبيبتي كم اشتقت إليك طمنيني عن حالك ؟

لكن المتصل قاطعه قبل أن يكمل غزله المتعاد عندما يكلمها

:مساؤك سعيد أنا جارتكم

لا أعرف ماذا أقول ولكن كان لابد أن أتصل

:هيا تكلمي أين حبيبتي ولماذا أنت من يتصل؟

أرجوك لا تقولي أن قذيفة سقطت على البيت

لا تقولي أرجوك أنا لا أستطيع الحياة بدونها

:هون عليك يا أخي إنها بخير

وأرجو أن تبقى كذلك

لكنها حالياً بالمشفى ومن واجبي إخبارك

:أعطني إياها لأكلمها

:أسفه لاتستطيع التحدث إليك وعليك المجيء بسرعه

:ما بها؟

:عليك أن تأتي وكفى

لا أستطيع أن أشرح لك على الهاتف

ترك الهاتف من يده فقد كان الخبر أصعب من قذيفة وقعت فمزقت جسده

لقد مزقه الخبر وشتت أفكاره

هدّه فلم يعد يقوى على الحركه وخارت قواه

كيف لا؟ وهي كل شيء له في الحياة

لم يشعر بطعم الأمان ولم يذق حلاوة الحب ولمة العائلة إلا معها

فلقد خذلته الحياة منذ نعومة أظفاره

فقد والديه في حادث سير أليم

وتربى يتيماً عند أجداده الذين فقدهم

الواحد بعد الأخر وهو ما زال في ريعان الشباب

فعاش وحيدا يصارع الحياة وهمومها

حتى تعرف إلى مريم فكانت العوض

عما فقده ومنحته الحب المليء بالحنان والاحترام

لقد كان يكبرها بعشر سنوات

إلا أنها أحبته حباً فيه من الاحترام الكثير

وبادلها هو ذات الشعور وأكثر

كان لها كل شيء العقل الراجح الذي تلجأ إليه

وهي له الصدر الحنون الذي يضع رأسه عليه ليرتاح من تعب الحياة

وحدثت الحرب وعمت ويلاتها على الجميع

وفي أحد الأيام تم إلقاء القبض عليه

عندما كان عائداً من عمله بدعوة الاحتياط

وتم تحويله لقطعه عسكريه ليخدم فيها عسكري احتياط

وكم كان لوقع الخبر عليها من صدمه

فهي لم تعتد غيابه ولا تستطيع العيش بعيدا عنه

وأخدت تمرض شيئاً فشيئاً حتى استفحل وتمكن منها المرض

لكنها لم تكن لتخبره بذلك فهي تخاف عليه

أما الآن وقد علم بالخبر فعليه الذهاب

ودون أي تأخير ترك مهجعه وركض إلى قائده طالباً إجازة شارحاً له السبب

ذهب لأقرب محطه واستقل سيارة خصوصي

وطلب من السائق أن يسير بسرعة

لكن الطريق الذي سيقطعه يستغرق الساعتين

كم كان الطريق طويل ومؤلم

كانت عيناه معلقة بالسماء داعيا ربه أن يشفيها ليعود فيلقاها كعادتها
بنشاطها وحيوتها التي اعتاد عليها في كل إجازة
كم أحبها
وصل فأسرع للمشفى ودخل كالمجنون ليجد أمامه ما كان يخافه فالموت كان
أسرع من سيارته
وطريقه إليها أقصر من الطريق الذي قطعه
جثا على ركبتيه أمام جسدها البارد
احتضنها بقوة ظناً منه أنه يستطيع أن يعيد لقلبها الدفء
لينبض من جديد ولروحها الطيبه الحياة لتعود وتلقاه
وضع رأسه بجانب رأسها قائلا
:أنت بداياتي ونهاياتي
أنت إسطورتي يا أجمل حماقاتي وجنوني
ياضلعي الثابت وأتكائي الذي لم يملني يوما
آه ياحنونتي كم أود لو أحيطك بذراعي
وأهرب بك بعيدا عن الموت وأصرخ بالجميع دعوا حبيبتي
دعوها تعيش بسلام أرجوكم امنحوها الحياة
فهي تستحقها فكم عانت وكم تألمت
لم أكن أعلم أيتها الغاليه أني سأقف عاجزا
لا أستطيع أن أرفع عنك ألماً أو أمنع قدراً
أحمقاً أصابني قبل أن يصيبك
كم تمنى لو يستطيع أن يعيد لهذا القلب الطيب نبضه
ولتلك الوردة التي تفتحت في خريف عمره حيويتها

لتتفتح من جديد

لم يتمالك نفسه فسقط على الأرض وتابع حديثه

:حبيبتي عودي أرجوك سوف أعترف لك لقد أحببتك

أنا أعلم أنك عانيت من قسوتي وجفاف عاطفتي الكثير

وأني لم أشعرك يوماً بذلك

لكن أقسم لك بكل لحظه جميله قضيناها سويا

أني أعشقك حد الجنون فأنت الحياة الجميله التي لم أعشها سوى معك

كنت لي أماً معك شعرت بالحنان وكنت خير زوجة منحتيني حباً جميلا

وأمسك بيدها يقبلها للمرة الاخيرة

وإذ بورقة تسقط من يدها التي كانت مطبقة على الأرض

تناولها وأخذ يقرأ ودموعه تسيل على وجنتيه

:عندما ستقرأ هذه الرساله ربما أكون قد فارقت الحياة

فأنا أعلم أنها لحظاتي الأخيرة قاتل الله المرض لقد دمرني

ولم أشأ أن أخبرك بذلك اعذرني وسامحني

خبأت عنك ذلك لا أريدك أن تحمل همي وأنت بعيد عني

سامحني يا توأم الروح واغفر لي

ولا تحزن فأنا أحببتك

وسأحبك بعد مماتي رفعت الأقلام وجفت الصحف

بكى فوق سريرها بكاها وبكى قدره الأحمق

ففي رحيلها انتهى كل شيء الحب والحنان

وبذلك ينتهي أجمل فصل من فصول حياته

صادفته في طريقها بعد غياب لم تعلم سببه

كان حبيباً ثم فجأة انقطعت أخباره دون مبرر

حتى أتى هذا اليوم حيث رأته

ألقى التحية ومضى في طريقه

لكنها استوقفته وبكبرياء الأنثى كلمته قائلة

:اسمعني لو سمحت

لم أدعوك يوماً لتحبني

لم أقد قميصك من دبر أو ألقي عليك بقميص يوسف يوماً لتراني

لن أنكر أنك أحييت سنيناً من العمر عجاف

لكنك وببساطه رميتني وبغياهب الجب أودعتني

لتلتقطني قافلة العزيز وتبيعني بأبخس الأثمان

لا لن يكون لك ذلك فقد صحوت من غفلتي

وسوف أمشي في طريقي

والقدر الذي قادك لي أخذك وما بينهما فقدت عشقك

عندما قررا سوية السفره لم تكن تعرف أن الغربه ستأخذه منها

طيلة السنين وهو العاشق لها

ولكن صعوبة الحياة أجبرته على السفر طمعاً بحياة أفضل

ومضت الأيام والشهور وعدت سنين

وهو غائب عنها ربت وكبرت وكانت لأسرتها أباً وأماً

وأدت جميع مهامها على أكمل وجه

انتظرت عودته بفارغ الصبر

وكم قاست من مرارة غيابه وقسوة الحياة ببعده عنها

لكنها كانت أقوى من ظروفها إلى أن أتى ذلك اليوم التي انتظرته طويلا

وعاشت على أمل لقائه

هيأت نفسها وتجملت محاولة إخفاء آثار السنين

ووقفت في المطار تنتظره أن يطل بقامته الطويله وبوجهه المليء حيويه

وعلى فمه تلك الابتسامه التي كانت تسحرها

وأخذت تستعيد صورته بداية حياتهما سوية

كم كان رائعاً وشردت وتاهت بين أكداس الذكريات

ومر الوقت وهي لم تشعر إلا وصوت يناديها باسمها...

فتحت عينيها التي أغمضتها لتنعم برؤيته رجلا أشيباً محني الظهر

على ملامحه أثار السنين

مدت يدها لتصافحه احتضنها ثم ابتعد عنها ونظر إليها

وكأنه يراها للمرة الأولى وهي التي عاشت معه سنين طويله

قاسمته مرارة الأيام ولوعة السنين والغربه

أمعن في تقاسيم وجهها وملامحها جيداً

: كم أشتاق لهذا الوجه

كم أشتاق لأيام الصبا التي كانت تسعدنا فيها أصغر الأشياء

وقد تبكينا أيضاً أتذكرين يا غاليتي؟

قالت له (بعد ان امسكت بيديه) :

وهل تعتقد أني نسيت ذلك

لكن لماذا تنظر الي هكذا وكأنك تراني للمرة الأولى

أخبرني وقل لي بربك ما الأمر

ابتسم ابتسامة العاشق المشتاق

قائلا: لم تغيرك الأيام أراك جميلة كما كنت

رغم الحزن والتعب الذي يملأ تلك العينين الجميلتين

فأنت مازلت رائعه في كل شيء

لم تثنك الحياة عن بقاؤك قوية ومتماسكه

تتمتعين بروح شفافة تمنحين الفرح للجميع وتخفين وجعك وراء مجاملات

تقدمين ما في وسعك وربما أكثر لكل من تعرفينهم

كنت أتابع كتاباتك وحواراتك وكم كنت سعيداً بها وبك

تتحدثين بإيجابيه مع أولئك الذين يجالسونك وتبثين الأمل في الارواح المتعبه

وأنت بأمس الحاجه لذلك

تزرعين الفرح في دروب الأخرين وتنثرينه كما ينثر الورد في الطرقات

وقلبك يشتعل حسرة وحزناً وألما

تكتبين حروفاً مليئة بالمحبه والتفاؤل

لله درك كم أنت رائعه يا رفيقة العمر والسنين

ضحكت ملئ قلبها كطفلة صغيرة

سرها كلمات الإطراء واستدركت قائلة

:لا عليك مني لقد نسيت كل ذلك التعب

ويكفيني اعترافك لي بأني ما زلت جميلة ورائعه

ووجودك ينسيني مرارة غيابك.....

ضاع العمر وضاعت السنين

بين هم ونكد وأنين

لم تكن تدري أنه سيخذل قلبها المسكين

انتظرته طيلة الليل تترقب الساعة وتسمع دقاتها في سكون رهيب

حدثت نفسها وقالت

:هل تراه يتصل، هل يعتذر؟

انتظرت وطال انتظارها المقيت

لكن خيبتها أشعلت في قلبها غيرة ممزوجة ببقايا حب وحنين

تناولت هاتفها وحاولت أن تكسر ذلك العند العتيد واتصلت

لكن ما من مجيب

تركت هاتفها وقالت

:يا إلهي كم كنت مغفلة ووثقت به

وتوهمت أنه للحب مخلص وعلى قلبي أمين

أيعقل أن ينسى ذلك الحب الذي تعاهدنا

على صونه ووضعه بالقلب والعين

أفاقت من حلم كان في زمن جميل

وتمالكت أعصابها حكمت عقلها ثم نهضت

ولملمت أشياؤها المبعثرة هنا وهناك

رتبت طاولتها المليئة بأوراقها الممزقة المتناثرة

حيث تظهر بعض حروف لكلمات كتبتها كانت سترسلها له

صنعت لنفسها فنجاناً من القهوة

علها تعيد لروحها توازنها وجلست تخاطب قلبها المسكين

:بلغني أيها القلب المسكين ذو المشاعر الرقيقة

أنك أصبت بخيبة مؤخراً من حبيب خذلك

وأنك تتألم وتتظاهر بالقوة

لاعليك يا قلبي تماسك وكن أكثر صلابة

ولاتجعل ذلك الموقف والخذلان يكسرك

فقد عهدتك قوياً

دمت بخير أيها القلب الطيب

مشت لاتعرف إلى أين؟

فلا نهاية لطريقها ولا جهة محددة لخطواتها

تابعت السير بخطا متثاقلة كعجوز أحنت ظهرها هموم السنين

توقفت فجأة واليأس يجتاح كيانها والدموع ملأت عينيها

شوقها لمن غاب يوجع قلبها فلا أحد له ولا نهاية

تسمرت في مكانها

امتدت عيناها في الأفق البعيد كأنها تراه قادماً من بين تلك الغيوم

تارة تبتسم لوجه تراه وتارة أخرى يتجهم وجهها

وتجري الدموع على وجنتيها لعلمها أنها تحلم

تمتمت في نفسها قائلة

:آه يا عزيزي لو أنك تأتي وتطرق باب هذا القلب المكسور

لأحتضنتك كما تحتضن الأرض حبات المطر

ولأخبرتك كم هي صعبة الحياة بدونك

لكنها الحرب لعنها الله لولاها لكنا الآن معاً

وضعت شالها على كتفيها وعادت أدراجها من حيث أتت

وهي تردد: أي تيه هذا الذي أنا فيه؟

في مقهى بعيد تواعدا على اللقاء..وفي الموعد المحدد كانت هناك تقف أمام الباب مرتبكة أتدخل؟؟...أم تنتظره ليأتي..!!؟؟

لم تستمر حيرتها طويلا فقد قطع النادل عليها جلسة صراعها مع أفكارها قائلا:تفضلي سيدتي

هل لي أن أخدمك بشيء؟؟؟

حينئذٍ كان عليها الاستسلام للأمر والدخول...مشت متثاقلة الخطى ،اختارت طاولة في زاوية بعيدة عن الانظار...

جلست والخوف يملئ عينيها،متوترة،تراقب الجميع معتقدةأن الكل يعلم سبب مجيئها..أمسكت كتاباً كانت جلبته معها لتحتمي خلف صفحاته من عيون تظن انها ترمقها بنظرات استنكار ودهشه.

لم يطل انتظارها ولم يتعاظم ارتباكها فقد أطل بقامته الرشيقه وجسده المنتصب، عيناه تشعان حباً وفرحاً للقاء حبيبته..

-مساؤك خير سيدتي

-أجابته بصوت يرتجف ويكاد لايُسمع:مساء الخير....

استغرب ردها لتحيته التي ينبعث منها الحب والشوق فلم يكن ردها بقدر تصوره.ولا بقدر احساسه بصدق مشاعره تجاهها

لم تنطق بكلمه وأخذ هو بالكلام والحديث بينما هي تجيب بعبارات مقتضبه..وأحيانا تكتفي بنعم او

لا...

سألها :مابك؟؟لم هذا التوتر والاضطراب؟؟

أجابته:أنا خائفه..

-ومم تخافين!!؟؟؟

-أخاف نظرات الناس وأخشى كلامهم...

حاول أن يبدو هادئاً في كلامه وأجابها:لم الخوف؟؟نحن لانرتكب خطأ ثم انظري فالكل مشغول بأمر نفسه لاأحد ينظر الينا...

-ماذا سيقولون؟؟؟

هنا صعد الدم الى وجنتيه وثار غضباً ثم قال لها: وماذا تفعلين؟ هل ستظلين خائفة من عيونهم ونظراتهم؟؟

-لاااا..ولكن..

-ولكن ماذا..اتخافين تقييمهم؟؟

انتبهي لنفسك ياعزيزتي لقد حان الوقت لتتغيري..

قاطعته قائلة:لقد تغيرت ألا تلاحظ ذلك؟؟مجيء لمقابلتك دليل ذلك...

-تحتاجين اكثر..ثقي بنفسك وبتصرفاتك ولاتكترثي بالاخرين..ارضِ عن نفسك...

-أنا لاأنتظر رأيهم فأنا واثقة من نفسي لكن أخاف تعليقاتهم الفارغه..أعلم جيدا من أنا وماذا أريد لكن كلامهم لايرحم ونظراتهم تربكني..

-دعك منهم ولاتنتظري تقييمهم واعلمي ان مديحهم أو ذمهم لن يغيير شيء..لآرائهم أحياناً تأثير ولكن ماضرك لو قالوا ماقالوا فليس ذلك بنهاية العالم..

دعيهم وشأنهم واسعدي عزيزتي بحياتك...

أنهى حديثه منادياً على النادل: من فضلك فنجانين قهوة لو سمحت....

ابتسمت له ابتسامة لم تعهدها من نفسها أبداً وأمسكت بيده وشدت عليها قائلة: أنا معك وتباً لآراء الاخرين...

كم هي قاسية تلك الأيام

ثقيلة بأحداثها حرب ودمار وهجرة وموت

برد كانون كان قاسياً لكن صقيع القلوب كان أشد

خلت الأماكن إلا من أصوات المودعين صراخ هنا

وبكاء ونحيب هناك

وفي الزوايا بعضهم أختبأ ظناً منه أنه يستطيع البقاء بعيدا عن دائرة الزمن

عيون المودعين تترقب

تجمدت وتسمرت في اتجاه واحد

كانت تتمنى لو توقف الزمن تلك اللحظه

وقفت في إحدى الزوايا معه

لم تكن تتصور أن حلمها الذي كان يكبر أمام عينيها

ترعاه نهارا وتسهر ليلا إلى حين عودته

لتنسى شقاء يومها بقبلة يطبعها على جبينها

يمازحها ليبرر غيابه الذي اعتادت عليه

إنه سيغادرها ربما لن تراه ثانية فالأيام تمضي

وأيامها الشقيه باتت محدوده

مشت بجانبه متكأة عليه

تارة تبكي وتارة تردد آيات تستودعه الله فيها

لم يكن الطريق طويلا وصلا للمحطه

وهناك أمسكت يديه تشبثت بها لا تريد أن تفارقها

آه أيتها الحرب ماذا فعلت بنا؟

كم أدميت قلوباً وكم تحطمت أحلاماً

قالت له والدمعة تخنقها

:إنك لا تعلم يا ولدي حجم الألم في صدري

خوفي عليك مضاعف وأنا بين نارين

نار بعدك عني التي ستحرقني

ونار بقاؤك إن بقيت قد تحرقك

كيف لي يا ولدي أن أتقبل ذلك وأتحمله

أجابها وعيونه تغرف من صوتها

من وجهها لعل ذلك يروي ظمأ قلبه في غربته وهو بعيداً عنها:

لا عليك يا حنونه

لن أطيل البعاد عنك ولن أتحمل ذلك وسوف أرسل لك لتلحقي بي عما قريب

أجابته :ماذا! لم يبقى في العمر الكثير

تحدثه وتشد على يديه

داعية ربها في صمتها أن يتأخر القطار

وتبقى ناظرة لعينيه علها تروي ظمأ الأيام القادمه من رؤية

ذلك الوجه الذي أضاء عمرها وحياتها

لم تكن تدري أنها المرة الاخيرة

وفجأة لاح القطار من بعيد

وأخذ نهر دموعها يجري حاول جاهداً ايقافه لكنه لم يستطع قبل رأسها احتضنها

وكم تمنى أن يملأ صدره من حنانها

كم تمنى لو تمتلئ رئتيه من أنفاسها الطيبه المتلاحقه

امتزج نبض قلبه بقلبها وكأنه قلب واحد

آه

أيتها الحياة كم أنت قاسيه أحياناً

كلما حاول الإبتعاد شدته لقلبها واحتضنته بشده

وغابت في أنفاسه

ثم أفاقت من غيبوبتها عند صفير القطار أودعته الله قائلة

:لا عليك مني يا ضناي اذهب رعاك الله وحماك

صعد القطار وصعدت روحها معه

عادت متثاقلة الخطى وهي تردد في سرها وعلنها

:عشت يا حبيبي طيلة عمري وقلبي لك

والآن ذهبت وأخذت قلبي معك

رددتها في صمتها وعلنها وكانت لصباحها عنوان

حفظتها وكم شعرت بالحزن عند سماعها وحال نفسها يقول

:كم فقد العزيز صعب تدعو ربها سراً وعلانية أن لايذقها طعم الفقد

لكنها لم تكن تعلم أن في الغيب أقدار لانعلمها

ولو علمناها لسررنا بالواقع رغم مرارته

لم تكن تعلم أن حزنها لدى سماع الأغنيه سيصبح واقعاً

والوهم الذي خافت منه أصبح حقيقة

وضاع حلم حياتها وما عليها سوى القبول والتسليم

والاحتفاظ بالذكريات وبالاستمرار هي ومرارة فقده في هذه الحياة

استمرت على حالة الحزن فترة من الزمن

ثم أفاقت من غيبوبة غيابه لتعود لواقعها ولحياتها

وهي التي اعتادت الصبر ومجابهة ظروف الحياة بكل صلابة وقوة

فعاهدت نفسها أن تكون بخير رغم ماحدث وماسيحدث لاحقاً

وهي التي تعرف كيف تقف بعد كل سقوط وكبوة

وتعلم كيف تجبر خاطرها بعد كل كسر

وقررت الوقوف من جديد دون مساعدة أحد

واعتادت أن تكون وحيدة رغم كثرة من حولها

فسعادتها وقوتها بوحدتها

وكم حدثت نفسها أنها ستنجو

ولن تهزمها الحياة

واستودعت حياتها عند من لا تضيع عنده الودائع

واثقة بجبره لكسرها

فلقد اعتادت كل ليله مناجاته

: إلهي في صدري أحمل لهفة الدعاء والتمني

ولك ربي سر التلبية والإجابه

كم كان مساؤها يائساً

يائساً كمحارب قديم عاد بعد أن وضعت الحرب أوزارها

ليجد بيته مدمراً ووالديه قد توفيا

يائس كطفل فقد دميته التي اشتراها من نقود جمعها طيلة العام

لم تكن تعلم أن مساؤها سيكون حزيناً برحيله

لم تكن تدري أنه بعد أن كان كل شيء لها

حتى تفاصيلها الصغيرة كان له أثر فيها فغيابه لم يكن سهلا ولا بالبساطة التي تصورتها

جمعت أغراضه وبعض ذكريات لهما ووضعتهم في صندوق صغير

صندوق أودعته عمر مضى وسنوات كان لها فيها لحظات فرح وسعادة ولحظات حب لاتنسى

أقفلت الصندوق وكانت قد أقفلت قلبها أولا

وكتبت على الصندوق عبارة

كانت تحب لو تمكن من قراءتها قبل رحيله

ورغم ذلك كتبتها وهي موقنة أنه لن يتمكن من رؤيتها أو قراءتها

:ما عاد قلبي ينبض ليعزف لك لحن الهوى

لكنه ما زال يبحث لك عن مكان ليؤويك

لم تكترث يوماً لتلك الشعرات البيضاء التي غطت رأسها

ولا لتلك الخطوط التي ارتسمت على جبينها

لم تنتبه يوماً لأيامها ولا للزمن الذي مضى سريعاً

أصعب اللحظات هي أن تشعر أنك على قيد الموت

ومن المؤلم أن تمضي حياتك كذلك

تقبع في كهف الحياة فلا أنت حي ولا أنت ميت

تمر عليك لحظات تتمنى الموت لكن هناك ما يشدك ويبقيك صامداً

ولاتعرف متى تأتي لحظة الإنهيار

مرت السنين والأيام وضاعت تائهة بين هموم الحياة ومشاكل الأولاد

هذا يريد وذاك يطلب وتلك تنادي

:ماما أين أشيائي

والأب لوحده موسوعة من الطلبات التي لاتنتهي إلا بنومه

وهي عليها أن تلبي دون أن تعترض

تتأرجح بينهم وكأنها تلك اللعبة التي وضعوا لها نابضاً لترقص

لم تكن ترقص طرباً وإنما لتركض ذهاباً وإياباً لتلبية الطلبات

صامته هادئه مبتسمة كعادتها وفي القلب وجع لايهدأ

وجع لايمكنها البوح به

وإن أرادت أن تبوح به من سيسمع؟

ومن سيتخلى عن أنانيته؟

وهل سيقولون لها هيا ارتاحي يكفيك نضالا؟

كان ذلك أمراً مستحيلا

حتى جاء يوما وفي صحوة وصراع مع ذاتها

قررت أن تضع نقطة لكل ما هي فيه من معاناة

شيء ما تحرك في داخلها

صوت يصرخ أرقها علوه

أيقظها من غفلتها نبهها لتلك النفس التي ظلمتها طيلة السنين خاطبها وبعنف

:هيا تحركي تمردي تحرري من ذاتك وكفاك إهمالا لنفسك

مضى عمرك معهم ولأجلهم وأنت ماذا خبأت لذاتك؟

انتبهي جيدا لأمر تجهلينه الحياة والأولاد لن يعطوك شيء

تعودوا الأخذ منك وإن لم تتغيري فلن تحصلي على أقل ماترغبين به

وهو بأبسط العبارات أن ترتاحي

أصغت جيداً لذلك الصوت الداخلي وحدثت نفسها قائلة

:آه كم أتمنى ذلك

كم أشتهي تحرراً؛رتمرداً؛ تخلصاً من كل القيود

كم أشتهي نوماً هادئاً دون ثرثرة عقلي وبعثرة نبضي

ليلا هادئا وأحلاما تعيد لحياتي ما فقدته ولروحي ما أضاعته

واستسلمت لنوم هادئ ولأول مرة يحدث ذلك

وصباحاً استيقظت على شيء جديد

شيء حركها منحها همة ونشاط فلم تشعر بالتعب كما كانت في باقي الأيام

لم تتألم لأنها حزينه

ولم تفرح لأنها سعيدة

لكن أحست أن مشاعرها أخذت معنى أخر أكثر اضطرابا

مشاعر هزتها من الداخل وغيرتها إنه مخاض الذات

نعم هو مخاض ولدت فيه من جديد

وكان لابد أن يحدث ليعيد لها توازنها

وليعيدها للحياة ولكن بشكل وقالب أخر

ولتبدو أكثر قوة وتماسكاً

عرفت أن الحياة ليست حكراً على من حولها والاخرين

وأنما لنفسها عليها حق

عندها شعرت بحلاوة الحياة

ومضت في طريق مليء بالنجاحات

أمسكته بيدها

استند إليها وهو يجر قدميه

تحاول احتضانه

يبدو عليه أنه متعبا لا يقوى على السير

دخلا قاعة الإنتظار حيث كنت أنتظر دوري

كان في العقد الثامن من عمره تقريبا محني الظهر، نحيلا، شاحب الوجه

يلهث بشده ويبدو عليه التعب الشديد

لم تكن هي أفضل حال منه فقد تجاوزت السبعين من عمرها

فآثار السنين وهمومها بدت واضحة عليها

لكنها كانت تظهر قوتها أمام ضعفه محاولة بث الحياة في روحه

أسرعت منذ دخولها وأجلسته على كرسي كما تجلس الأم طفلها

وتحنوا عليه خائفة من أن يقع

اتجهت نحو الممرضه وسألتها

:هل الطبيب هنا ؟؟

-نعم يا سيدتي ومن المريض؟؟

-إنه زوجي.

-كم عمره؟

-ثمانون عاماً أرجوك لاتتأخري فهو متعب

-عليك أن تنتظري دورك يا سيدتي فهناك مرضى قبلك

أثارت في نفسي شعوراً غريباً اختلط ما بين الشفقة عليها مما تخاف حدوثه
والاحترام والتقدير لمشاعر تمثل أروع صور الحب
فأعطيتها دوري لتدخل للطبيب
شكرتني وهي تدعوا لي بالشفاء
بالنسبة لها كل شيء موجعآ حتى الانتظار
خوفهامن فقدانه ومرضها الذي كانت تحاول أن تنساه
لترعى رفيق أيامها ولياليها
وحتى إن انتظار دورها عند الطبيب كان يسبب لها القلق والتوتر
كنت أراقبها من بعيد وعيوني امتلأت بالدموع لشدة ماكانت خائفة عليه
أراها تسنده؛ تحتضنه؛ تسايره محاولة أن تنسيه وجعه
وتساءلت بيني وبين نفسي
:هل يا ترى هو من يستند عليها أم أنها تحاول أن تحتمي به وهي تعلم أنه
في أيامه الاخيره؟
كانت تقاوم وتأبى رحيله تحاول أن تبث القوة في عروقه وترفض الإستسلام
تتمتم ببعض الأغاني تنشدها له
تحاول أن تجعله يضحك
تقترب منه تحادثه
تستنشق أنفاسه التي كانت في أخرها
وكأنها بذلك تريد أن تذوب وتنصهر فيه
وقد أسندت رأسها على كتفه لترسم بذلك أروع صورة للحب والأمان

في هذه الأثناء نادت الممرضة باسمه

أمسكته بيدها ودخلا غرفة الطبيب وأنا أردد مع نفسي

:حقاً صدق من قال

تشيب الرؤوس

ولاتشيب القلوب

بدأت خيوط الشمس تنشر على المدينة الهاجعه

أشعتها ماحية ظلمات الليل الحالكه لتظهر طلائع الفجر

فيبتسم الصبح ابتسامة خجولة كأنه سُرّ لاحتضار الليل وتلاشي ظلماته

أخذت العصافير بتغريدها بعد أن استيقظت متنقلة بين الأغصان

توحد ربها على طريقتها وكأنها تريد ايقاظ الطبيعه من رقادها الهادئ

تمطت "ليلى" في فراشها الوثير الدافئ

فتناهى لسمعها أصوات موسيقى زقزقة العصافير الجميله

تثاءبت باسترخاء يشدها دفء الفراش للبقاء

لكن ذلك الصوت جعلها تنهض

فتحت النافذة لتدخل نسمات الصباح لغرفتها فجعلتها تستفيق

ناظرة إلى الحديقة التي تحيط بمنزلها

استقر نظرها على شجرة ورد تفتحت فيها وردة حمراء حديثاً وقالت في نفسها

:كم أنت جميلة! فأنت حديثة العهد بالحياة

نظرت إليها بتمعن فشعرت بلذة لم تكن تدري سببها

ولا السر وراء ذلك الحنان الغريب عند النظر إليها

لكنها ما لبثت أن نسيت كل شيء

إلا ذلك اليوم الذي حملت فيه الوردة من بيت صديقتها وغرستها في الحديقه

ثم أخذت تعتني بها كل يوم

كان ذلك منذ سنتين حين كان عمرها خمسة عشر عاماً

أما الآن فهي قد أتمت السابعه عشر من عمرها

هذا السن الذي يضج بالحيويه وينبض فيه قلب الفتاة بالحب لكل شيء

مدت يدها وامسكت بخصلات شعرها المسترسله على وسادتها

وأخذت تفكر بأمور مبهمه غامضه تثير في نفسها قلقاً وحيرة

لم تكن تعرف سبباً لذلك

فبرغم رفاهية العيش والحياة التي تعيشها

إلا أن هناك شيء من الملل والضجر يقيدها

يخنقها وكم أبكاها فعاشت في جو من الحزن

والفقد لشيء لا تعرف ما هو ولا تدري أين تجده

كانت ليلى وحيدة والديها لو طلبت لبن العصافير لأحضره والدها لها

فالمال كثير ولا يرد لها طلب لكنها كانت تشعر

بظمأ لشيء مجهول لا يرويه ماء ولا يلبيه مال فماهو يا ترى؟

كانت والدتها تراقبها ملاحظة قلقها وتوترها

إلا أن ليلى لم تكن ترد على أسئلة والدتها عن حالتها

فكانت تحبس نفسها في غرفتها بعيدة عن الجميع حتى صديقاتها ابتعدت عنهن

كم مرة أصابتها نوبات من البكاء لم يعلم أحد بها

سوى وسادتها التي كانت تغرقها دموعاً

اعتادت العائله على الذهاب في الصيف إلى المزرعه

لقضاء اجازة الصيف وكانت الأم تأمل أن تتغير نفسية ليلى هناك

استعدت الأسرة للذهاب وحضرت الأم كل شيء

وليلى غارقة في شرودها وحزنها

غادروا المدينه متجهين إلى الريف حيث الخضرة والطبيعه الجميله

وصلت ليلى واستقرت في غرفة مطله على البساتين

بدأت بالخروج في نزهات مع الفلاحات بين النهر والبساتين

كانت تجلس معهن ساعات تستمع لأحاديثهن الساذجه العفويه

لكنها انبسطت بالجلوس لهن متأملة أن يخفف عنها ذلك الحزن والملل

في عصر أحد الأيام كانت بنزهة مع الفلاحات

اتجهن نحو النهر جلسن يتبادلن أطراف الحديث

رأته قادما من بعيد بقامته الطويله يرتدي لباسا فلاحيا بسيطا

ألقى التحيه مطرقا بنظره إلى الأرض وتابع طريقه

وليلى تبعته بنظراتها فلقد شعرت بشيء سرى في جسدها وكأن تيارا كهربائيا أصابها

رجف قلبها وتسارعت نبضاته سألت عنه فورا من يكون؟

-إنه البستاني أحمد

كان أحمد هادئا وسيما

يبلغ من العمر عشرين عاما يعمل عند والدها بالبساتين

عادت ليلى إلى البيت تاركة قلبها عند أحمد

حاولت أن تنام

تلك الليلة لكنها لم تستطع فصورته لم تفارقها

احتارت في أمر قلبها وماذا أصابه؟

شعرت بسعادة لم تعهدها من قبل

أشعلت إسطوانة التسجيل واستمعت لبعض الأغاني

إنها المرة الاولى التي تسمع فيها الأغاني

استلقت على سريرها وأخذت تحلم بالزائر الجديد لحياتها

لتقرر الذهاب لرؤيته ثانية

لقد أحبته دون أن تعلم بأنه الحب من النظرة الأولى

أخذت تتردد كل يوم على البساتين لتلتقي به

كان حبه ينمو شيئا فشيئا بقلبها غير آبهة بما ينتظرها من مصاعب

مرت الأيام وأخذت ليلى تتغير أحوالها للأحسن

فلقد وجدت عند أحمد ما كانت تبحث عنه

والفراغ القاتل قد ملأه عشقها لأحمد فهامت به حد الجنون

فلم تعد تستطيع البعاد عنه

كانت تختلق الأسباب لتراه

لم تبح له ولم يكن هو ليجرؤ على أن يبادلها ما تشعر به

فهو فلاح فقير لا يملك سوى ما يأخذه من قروش لقاء خدمته لهم

وقطعة أرض يعمل بها ليسد رمق إخوته الصغار

الذين تركهم له والده بعد وفاته

كم حاولت إظهار حبها له فقطفت الورود وقدمتها له لكنه كان كلما تقربت ابتعد

هامت به وعشقته لكنها لم تبح له

انتهى الصيف وحان موعد الرحيل نادتها أمها لتنقل لها خبرا سارا قائلة

:لقد طلب ابن عمك وليد يدك وأنت تعلمين من هو وليد؟؟

لديه من الأموال وعنده من الثروة ما يجعلك أميرة ووريثة لكل أملاكهم

لم تجب ليلى بكلمه فكان الخبر كالصاعقة أصابها

وزلزل كيانها

كادت تسقط أرضا لكنها تمالكت نفسها وخرجت هائمة على وجهها في الحقول

باحثة عن حبيبها تريد أن تعترف له بحبها

لم تجده في كوخه تابعت طريقها في البساتين بحثا عنه فترامى لسمعها صوتا قادما من بعيد مع ضحكات

اقتربت من مصدر الصوت وهي واقفة خلف شجرة لترى وكانت الصدمة لها كبيرة

فقد كان حبيبها برفقة إحدى الفلاحات يحادثها

يناجيها بأرق العبارات واعدا إياها بحفلة زفاف يحضر لها عن قريب

قال أحمد: أحبك يا غاليتي فهل تظنين غير ذلك؟

: لكنك مشغول عني ولم أعد أراك؟

: إني غائب أحضر لأمر مهم

: ما هو يا أحمد؟؟

: سيكون زفافنا مطلع الربيع إن شاء الله فما رأيك؟

كادت حبيبته تطير من الفرحه

وليلى تسمع وهي تستند على جذع الشجرة

: أصحيح ما تقوله يا أحمد

ضمها أحمد لصدره وهو يردد

:كم أحبك يامجنونه وهل تظنين غير ذلك

رأت ليلى بعينها وسمعت كل شيء

استدارت عائدة والخيبة تملأ قلبها المكسور

تاركة حبيبها بين أحضان من اختار لكن

إلى أين؟

إنها لا تعلم؟

ولاتدري ؟؟

لم تعد ليلى للقرية

ومضت باتجاه النهر حيث التقته أول مرة

وعلى الرصيف انتظرت

وقفت طويلا بقلب تائه وسط الزحام

عيونها حائرة تترقب قدوم الحافله

التي تقل الجنود العائدين من الحرب

كان الجو بارداً

إنه يوم من أيام الشتاء لكنها وعدته يوم رحيله أن تلقاه عند عودته

وحتى لو تحول ندى الصباح إلى تلج ستذهب لتلقاه

تزينت وارتدت أجمل ما لديها

تعطرت بعطرها المفضل لديه وذهبت إلى المحطه

وقفت بين جموع الناس الذين أتوا لملاقاة أحبابهم

وصلت الحافله وبدأ الجنود بالنزول

وهي تراقب كانت أنفاسها تتسارع ونبضات قلبها مسموعة للقاصي والداني

ركضت باتجاه الحافله تسأل عنه

تمسك هذا من يده وتستجدي ذلك بأن يجيبها

وبقيت هكذا لا أحد تجرأ ليجيبها حتى انتهى الجنود من النزول

فأدركت أن ما كانت تخافه قد حدث

وحبيبها الذي عاشت وقاومت ظروفها لأجله لم يأت لقد اختار جوار ربه

وهي من ستجاور بعد رحيله؟

ذهب الجميع وبقيت وحيدة لا تقوى على السير

فجلست على مقعد كان قد أوصاها أن تنتظره عليه

عندما يعود وأخذت تكلمه بصوتها الحزين الذي يحمل نبرة عتب ممزوجة بدموع تنسكب بل اتوقف

:كم ناديتك لمَ لمْ تُجِبْ لندائي وتأتي؟

أين رحلت يامن كنت مختلفاً بوجودك في حياتي

لم تكن لي صديق

ولم تكن حبيب

ألم تكن تدري أنك كنت حياة لحياتي

وها أنت قد رحلت فما حياتي بعدك

آه كم هو متعب هذا القلب

إنه كطائر تحت هذا المطر يرتجف من هول ما أصابه

فلايستطيع الطيران كما كان ولا الهبوط سيوقف المطر

قلبي أصبح كتائه في غابة موحشه لا يعرف لطريقه نهايه

تتقاذفه أصوات غريبه ومرعبه

فلا التوقف ينفعه ولا المسير يوصله لما يريد

واستمرت هكذا ثم توقفت عن مناجاته لتجفف دموعها أخذه نفساً عميقاً ثم قالت: لا عليك مني

سوف أكمل رسالتك التي بدأتها

وسوف أبقى على وعدك ماحييت

إني متمسكة بالله وثقتي كبيرة

بأنه سيمنحني صبراً لا حدود له ويقيني عظيم

اطمئن سوف أكون بخير فروحك ترفرف حولي

تحرسني ودعائي لك كل يوم سيشعرني بالطمأنينه والسلام

هناك حيث تشرق الشمس بعيداً وقفا طويلا

تعاهدا على البقاء معاً

ثم فجأة تركها وهاجر

كما هاجرت كل الطيور التي خلت منها سماء وطني

ولم تعد تزوره صيفاً وتودعه شتاء

غاب دفء قلبها بغيابه

بدأت تعد الأيام وتحصي السنين لعودته

كانت تعلم أن عودته امرأ مستحيلاً

لكنها في كل يوم كانت ترتدي أجمل ثيابها

وتضع القليل من عطره المفضل الذي قدمه لها في عيد الحب

فهي حريصة عليه لحين عودته

في طريقها تشتري وردة وتمضي إلى حيث كان آخر لقاء بينهما

تجلس وحيدة ويأخذ شريط ذكرياتها بالدوران

هنا كلمني

وهناك ركضنا وضحكنا

تتنقل من مكان لأخر تكلمه بأرق الكلام

تغازله حينا وتعاتبه حيناً آخر

تبثه أشواقها ووجع حنينها إليه

تسقط من عينها دمعة تروي تلك الوردة
التي وضعتها في المكان
وتحرق قلباً أضناه الفراق
ثم تعود أدراجها والحزن كل يوم يحني ظهرها
حتى بدا عليها وكأنها عجوز بلغت من العمر عتيا
تعود وهي تدندن أغنيتها الحزينه
وترسلها مع الهواء علها تبلغه أشواقها
يا طير يا طاير على طراف الدني
لو فيك تحكي للحبايب شو بيني

أذهلت الجميع بقوة تحملها

بصبرها وحسن ظنها بالله فرغم مرضها كانت سنداً لكل من يعرفها

تبتسم وجروح قلبها تنزف تضحك وقلبها الصغير يبكي ألماً تلقي التحيه

بالسلام وجسدها الصغير قيّده المرض تدّعي السعادة لتخفف عن والديها خبر

مرضها الذي كان كزلزال أصاب كيان أسرتها

تلك هي "حور"ابنة الثامنة عشر ربيعاً فتاة تضج حيوية ونشاط راقية في

تعاملها رغم صغر سنها محبة للجميع ومحترمه مطيعه لوالديها في كل أمر

أن ترزق بأولاد هي نعمه لكن النعمة الأكبر هي برّهم وطاعتهم لك ليمنحوك

سعادة في الدنيا وفوز في الأخرة...

كونها الابنة الكبرى للأسرة لذلك فقد تولت رعاية إخوتها ومتابعة دراستهم

وأداء واجباتهم المدرسيه وفروضهم الدينيه فقد كانت حور ملتزمه دينيا

وغرست ذلك في إخوتها

لم تكن تحسب حسابا للقدر وماذا تخبئ لها الأيام ففي إحدى ليالي تشرين

الباردة استفاقت على ألم في بطنها حاولت أن تعالجه بمشروب ساخن قبل أن

توقظ والدتها

خوفا من أن تزعجها فقد كانت رقيقة كنسمة صيف

أخذ الألم يشتد ولم تعد تستطيع التحمل فنادت أمها التي استفاقت على

صراخها وقد ملأ أرجاء المنزل لقد شعرت أن أمعاءها تتمزق

-أمي أرجوك افعلي شيئا أكاد أموت من الألم

استدعت الأم سيارة الإسعاف

نقلت "حور "وهناك اجريت لها الإسعافات الأوليه لكن الطبيب أصر على إجراء التحاليل والأشعه اللازمه فألمها لم يستجب للإسعافات الأوليه

عند رؤية الطبيب للنتائج تقول حور:

لن أنسى أبدا حالة الطبيب وارتباكه حاول إخراجي من الغرفه ليتكلم لوالداي لكنني رفضت فأنا لست بالساذجه لتمر الأمور دون أن أنتبه لها رفضت وأصريت على البقاء لأسمع مايقول قلت للطبيب:

تكلم ولاتخف فانا راضية بقضاء الله وقدره أياً كان فلن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا

سوف أبقى أذكر نظرة الطبيب التي منحتني حباً واكبارا وتقديرا وكيف امتزجت نظراته بالدموع التي حبسها خوفا على مشاعري قائلا لي

:حماك الله يا ابنتي وعافاك لم نعد نخاف من شيء فالطب قد تقدم ما تظهره التحاليل هو وجود كيسه مائيه على المبيض وعلينا استئصالها

أذكر أن والدتي انهارت ووالدي استند على حائط العيادة وخارت قواه قلت للطبيب مبتسمة

:توكل على الله فالخيره فيما اختار الله ومن يحبه الله يبتليه وأنا منهم هو عز وجل يريد سماع صوتي وأنا أدعوه

لست خائفه ولا قلقه فأنا بين أيدي رحيمه

ذهبنا للبيت بعد أن حدد لنا الطبيب موعداً في اليوم التالي لآن الكيس حجمه كبير ويجب اجراء الجراحه بأسرع وقت خوفا من مضاعفات لا تحمد عقباها أمضيت ليلتي أتلو القران الكريم داعية الله أن يعين والداي فأنا أخاف عليهم أكثر من خوفي من مرضي استلقيت بعدها على سريري لأرتاح وغرقت في نوم عميق لم استيقظ إلا على قبلة والدتي عند صلاة الفجر توضأت ثم صليت تلوت بعض الآيات ثم ارتديت ملابسي وذهبت لغرفة إخواني قبلتهم وهم نيام

وأودعتهم رب كريم وخرجنا للمشفى حيث ينتظرنا الطبيب قبل دخولي للعمليه قبلت والداي وطلبت منهم الدعاء والرضى وابتسمت لهم ابتسامة الواثق بالله المستسلم لقضائه لم تستغرق العمليه طويلا لكنها بالنسبه لمن ينتظر كانت عبئاً

بعد مضي ساعه خرج الطبيب مطمئِناً والداي وأعطاهم خزعه لاجراء ماهو روتيني بعد كل استئصال للأكياس المائيه خرجت من المشفى وبعد إسبوع صدرت نتيجة التحاليل

حاول والدي إخفاء الأمر عني لكن مع اصراري وسؤالي الدائم وجد نفسه مجبرا على مصارحتي أن هناك اجراء جراحي لاستئصال الرحم فقد كان المرض متقدما وللسيطرة عليه يجب الاستئصال الكامل للرحم

خبر كهذا هو بالمناسبة قنبلة وانفجرت عند البعض لكن بالنسبة لي كان الأمر عادياً فقضاء الله لا راد له مهما حاولنا

استغرب والدي ردة فعلي قلت له:

الحمد لله على ما قدر وما اختار فالخيرة دائما فيما اختار الله

استمرت حور في حياتها كأي فتاة تابعت دراستها الجامعيه ولم تتأخر عن أي واجب يوكل إليها تواظب على صلاتها تتلو القران ليلا داعية ربها أن يعينها ويخفف بلاؤها

مضت الأيام بلياليها كانت قاسية على أمها التي أدركت أن حياة ابنتها قد انتهت كأنثى

كم ذرفت الدموع ليلا دون أن تراها ابنتها لتتظاهر بالقوة نهاراً

بالمقابل كانت حور تصبر والديها وتعدهم بالقضاء على المرض بارادتها واصرارها على الحياة في اليوم المحدد أجريت العمليه وكانت ناجحه فقدت أعظم منحه إلهيه للفتاة وهي مهمة الأمومه لكنها لم تفقد أملها بالحياة والاستمرار بهمه عاليه

خرجت من المشفى وبدأت تتماثل للشفاء ثم عادت لمتابعة دراستها فقد قررت التغلب على ذلك المرض لكن والدتها كانت قلقه دائما مما سيحدث من تغيرات جسديه لحور عند البدء بالمعالجه الكيماويه إلا أن حور فاجأت الجميع بوعيها لكل ما يحصل وتقبلها لقضاء الله وبكل سعة صدر وإيمان فثقتها بالله منحتها سعادة جعلتها تنسى المرض وعواقبه كانت تقول للجميع لن يقهرني المرض فأنا أتمتع بإرادة وهمه عاليه ثقتي بالله ستعينني على محنتي

بالفعل هذا ما حصل فقد استطاعت أن تتجاوز محنتها بأقل الخسائر وبأسرع وقت فالنتائج المخبريه كانت تظهر التحسن باستمرار تابعت دراستها الجامعيه فلم يثنيها المرض عن ذلك وحصلت على ماجستير بالهندسه تفوقت بدراستها واثناء ذلك تعرفت على شاب أحبها ونشأت بينهما علاقه لطيفه صادقه وكانا متقاربين فكرياً

فرقيها وأخلاقها كان ملفتا للنظر وجذب إليها الكثير من المعجبين تجنبت الدخول بأي علاقه أما"علي" فلم تستطع مقاومة مشاعرها تجاه فقد كان محترماً هادئاً خلوقاً

بعد تخرجهما من الكليه اعترف لها بحبه رفضت كثيرا هذه العلاقه لكنه كان مصرا على الارتباط بها فقررت ذات يوما مصارحته بأن تقول له أنها حرمت من أعظم مهمه توكل للأنثى وبالتالي فهي لا تستطيع الإرتباط بأحد لانها لا تنجب:

: اسمعني جيدا أنت انسان رائع وحلم كل فتاة لكن لن أستطيع الارتباط بك يا علي

: لماذا يا حور؟

-لأني مريضه وحرمت من الأمومه

قاطعها علي غير آبه بحديثها قائلا :ومن منا لا يمرض

هل نستطيع منع ما قدره الله؟

:علي أنا حرمت من الإنجاب اتفهم ذلك؟

:أريد أن اسألك سؤال لو حرمت أنا من الإنجاب هل ستتخلين عني؟

لم ينتظر جوابها لأنه قرأه في عيونها تركها وذهب

في اليوم التالي اتصل بها قائلا:

اليوم الساعه السابعه مساء أخبري عائلتك أننا سنأتي لزيارتكم

حاولت أن تكلمه لكنه قاطعها قائلا:أحبك ولا أستطيع الابتعاد عنك وماذا يعني أنك لا تنجبين سوف أكون أنا طفلك المدلل وستكونين طفلتي المدلله تلك مشيئة الله لاذنب لك بها وأنا راض بذلك

حبيبتي سنتغلب على المرض وسنهزمه سنحيا بحب وسعادة

لو تخليت عنك كم سوف أكون صغيرا أمام نفسي وأمام قوتك وارادتك التي قاومت وتقاوم المرض سنكون يا غاليتي يداً بيد لنهزمه وسننتصر فالحياة تستحق أن نقاوم من أجلها

أنت لي هديه من الله وأنا ولله من الشاكرين

مشت بخطاً متثاقله كعادتها إلى صديقها البحر وجلست أمامه تبثه همومها فقد كان لها ولقلبها خير صديق وكاتم للأسرار نظرت إلى الافق حيث بدأت الشمس بالسقوط فيه وقالت له

: يا بحر كم ضاقت علينا أ تراكمت في النفس الهموم فعاهدت نفسي يا صديقي أن أرميها فيك خذها أرجوك ولا تعيدها لي فلست بحاجة لها لا عليك يا بحر فالله سيتولى كل تلك الأمور والهموم العالقه في الصدور سوف أخبرك يا صديقي أني لم أعد بحاجه لأولئك الناس حتى أعرف قيمتي أو أن يخبروني ماذا علي أن أفعل وماذا أسمع وماذا أكتب واقرأ لم أعد أهتم لهم وسوف أتخلى عن تعلقي بهم فقد ضاق صدري منهم لذلك سأقلل تلك المساحات التي شغلوها في حياتي ما استطعت

وهاج البحر وهي تتحدث وكأنه تأثر بكلامها فردت عليه

اهدأ يا صديقي ولاتخف فأنا قويه وهذه الأمور التي أتعبت قلبي هي بسيطه وأنا قد ألقيتها فيك

أنا قويه لا يهزمني شيء

وتدحرجت دمعة من عينها فاختلطت بماء البحر

وكن واثقاً ياصديقي أن لاشيء يمكنه أن يبكيني

وبكت!

عانت من الحرمان ونظرات الناس المليئه بالشفقه

تحملت عبارات رددوها حرقت قلبها

عبارات كانت تشعرها بالعجز وأنها كالأرض البور والشجرة التي بلا ثمر

يتغامزون عند مرورها قائلين:عاقر لا تنجب

لكنها صابره وشيء بقرارة نفسها يحدثها يهدأ غليان روحها كأي أنثى تاقت لكلمة"ماما" ذلك الصوت بداخلها يهمس لها في لياليها التي كانت تمضيها على وسادتها باكية وحيدة: لاتخافي فصبرك واحتسابك لله لن يضيع وسيجبرك الله جبراً يليق بالصابرين

أسئلة أرقتها وقضت مضجعها هل أنا حقاً عاقر؟ هل سوف أحرم من حقي بالأمومه؟ وزوجي هل سيبقى على حبه؟ وهذا الشيء الذي شغلها أكثر فقد حاربت أهلها من أجله وتخلت عنهم وتزوجته

إلهي لا تحرمني من ذلك الوثاق لحبنا والإرتباط بمجيء طفل يزيل تعب الأيام وحرماني من عائلتي

عاشت مع زوجها أحلى أيامها لم يبخل عليها بالحب وعوضها عن أهلها فكان نعم الأب والأم والأخوة لم تشعر معه بفقد الحنان ولم يشعرها يوماً بتأخر انجابها وكم من مرة قال لها:

أنا لك كل شيء فلا تهتمي للأمر والله الذي جمعنا لن يتخلى عنا سوف يرزقنا ما نتمناه فقط اصبري ياحبيبتي وصبرت واحتسبت أمرها لله..

ومضت السنين وهي تنتظر ولم تقطع أملها من رحمة ربها يوماً فحبيبها سندها ومؤنسها وعوضها خيراً وحباً وحناناً

حتى جاء ذلك اليوم وأحست أن شيئاً ما تغير في جسدها لم تخبر أحداً ولاحتى زوجها وذهبت لأقرب مخبر لتجري التحاليل اللازمه كعادتها في كل مرة والخوف من النتيجه السلبيه يوترها وانتظرت في الصاله حالمة بخبر يريح قلبها المتعب ويزيل تلك الغيمة السوداء كانت الدقائق طويلة وثقيلة وكأن الساعة لا تتحرك عقاربها تلتفت يميناً ويساراً ترقب الوجوه قلقة كمن دخل امتحان لأول مرة ونادت ربها:

إلهي صابرة على قضائك وقدرك راضية بما تحكم ولن أعترض لكني والله تاقت نفسي لكلمة "ماما" فلا تحرمني وارزقني ما تراه خيرا لي

وخرجت الممرضه نادت عليها قائلة: مبروك سيدتي أنت حامل

تسمرت في مكانها دون حراك

قلبها تتسارع نبضاته

اصفر وجهها وأخذت رجليها ترتجفان ثم انهارت على مقعدها باكية والحمد لله تعلو وتعلو لتملأ أرجاء المكان دون أن تكترث بمن في الصاله

أمسكتها الممرضه لتتوازن وأجلستها قائلة لها: انتبهي لنفسك جيدا وأكرر تهاني لك بالحمل

تناولت التقرير وخرجت لا تعرف أين تتجه فقد أتاها خبر الحمل وأفقدها وعيها لقد نزل الخبر كغيث حملته غيمة سوداء دارت ودرات فوق أرض عطشى إلى أن أذن الله لها بالهطول وها هي تهطل الآن لتحي بذوراً كادت أن تميتها الأيام واليأس من أن تعود للحياة من جديد

كانت قد يئست من أن تحلو أيامها يوما ما وتنمو في أحشائها تلك الروح التي طال انتظارها وكم كان ذلك الانتظار صعباً وسط ذلك الكم من الاسئله المقيته

كل ذلك دار في ذهنها لثواني ثم عادت لحيرتها هل تذهب للطبيب؟ أم لزوجها؟ لا الأفضل من كل ذلك أن تذهب لأقرب مسجد تصلي شاكرة ربها على عطائه وجزائه لها وأحست بنفسها تطير فرحاً كيف لا وهي التي انتظرت عشر سنوات بعد أن يأس الجميع من حملها ما أعظم كرمك يا إلهي وما أرحمك تمتمت بهذه الكلمات قبل دخولها للمسجد توضأت وصلت شاكرة ربها سجدت وأطالت السجود وهي تحدث ربها ودموعها بللت سجادتها ثم نهضت ووضعت في صندوقه ما تيسر لها من نقود وخرجت عائدة لبيتها لتنتظر زوجها حاملة له أحلى خبر انتظراه سوية وعانا ألم الحرمان منه

رتبت منزلها وزينته بأجمل الورود التي جلبتها وهيأت أطيب المأكولات ووضعت بجانب الورود قطعة لباس لطفل صغير وكتبت عليها (أهلاً بالقادم الجديد) وجلست تنتظره غلبها النعاس دون ارادتها فاستسلمت للنوم فتلك الأعراض كانت قد لاحظتها منذ مدة لكنها لم تكترث لها ولم تفكر بأنها أعراض وحام وهي المؤشر للحمل

دخل زوجها البيت ونادى لكنها لم تجب فهي مستغرقة بالنوم اقترب منها واستغرب مما شاهده لم يوقظها وجلس يتأملها كم أحبها وما زال فحبها يتغلغل في شرايين قلبه إنها كل عائلته فلا يملك سواها عاش وحيداً بعد فقده لعائلته بحادث سير

تربى عند أجداده الذين غادروا الحياة تباعاً فقد كانا عجوزين ونشأ معتمدا على نفسه عصامياً تابع دراسته وفي الجامعه تعرف عليها أحبها وأحبته وعندما قرر الزواج بها رفض أهلها الفكرة لأنه لا يملك عائله ولا حسب ونسب إنها العادات الباليه التي ما زالت تحكم بعض المجتمعات لكنها اصرت على الإرتباط به فتركت أهلها وتزوجته وعاشا أجمل أيام حياتهما بالرغم من حرمانهم من الأولاد لم يكن يبالي هو بالأمر لكنها هي دائمة التفكير بالموضوع خائفة من المستقبل

شريط من الذكريات مر أمامه وهو يراقبها واستفاقت فجأة لتجده يبتسم لها نهضت وأمسكت بيدها وأخذته إلى طاولة الطعام التي حيرته لكنه لم يسأل عن السبب

وقفت صامته لا تتكلم وهو ينتظرها ثم قال لها مستغرباً:

ما المناسبه ياعزيزتي ثم ماذا تعني تلك العباره واللباس؟

أخبريني هل أنت حا...

وقاطعته والدموع تملأ عينيها:

نعم ياسندي وحبيبي يا من تحملت معي الحرمان سنصبح أبوين بعد تسعة أشهر وأخيرا

سيأتي من سيضع تاج الأمومة على رأسي ويناديني "ماما"

لقد عوضنا الله ومن علينا بفضله وكرمه

كادت الفرحه أن توقف قلبه المحب لكنه تمالك أعصابه احتضنها باكياً: أحمد الله وأشكره إنك تستحقين هذا الجزاء فصبرك لم ينساها ربي وهذا جزاؤك فألف مبروك

اختلطت دموعهما وهو يحتضنها وقادها للسرير:

لن تتحركي بعد اليوم أوامرك مطاعه حتى يأذن الله لهذه الروح بالمجيء للحياة

مرت الأيام والشهور والحمل ينمو والأمور تسير على ما يرام تراقب حملها كل شهر وحبيبها يغمرها حباً وعطفاً وحنان وفرحتهما وشوقهما لقدوم الضيف الجديد لاتوصف وأهلّ الشهر الرابع حاملا معه خبر نوع الجنين علمت أنها حامل بولد سُرَا كثيرا بالخبر واختارا له اسم

(محمد) فهو خير الأسماء راجين الله أن يتحلى بصفات حميده دخل شهرها الخامس وبدأ التعب يزداد والحمل يكبر لكنها رغم الوجع تحسب الأيام والساعات وبدأت بالتجهيز لمجيء من تاقت روحها لاحتضانه

ذات ليلة أحست بشيء لم تعهده من قبل وأيقظها على وجع شديد وألم في بطنها وظهرها وبدأت نوبة مغص متقطعه لكنها أخذت تشتد لم تأل بالاً للأمر معتقدة أنه البرد فقد كان الشتاء باردا تناولت بعض المسكنات المسموحه وصنع لها شراب ساخن تناولته محاولة النوم لكن الألم كان شديد والمغص عاد وبقوة أكبر فلم تعد تحتمل ألمها وعلا صراخها أخذها للمشفى واستدعى طبيبها خرج الطبيب ووضح للزوج أن زوجته في حالة مخاض ولابد من التدخل الجراحي حفاظاً على حياتها فهناك بعض الاختلاطات قد حدثت مؤخرا صرح لهم باجراء اللازم دخلت غرفة العمليات ودخل هو في دوامة التفكير فيما بعد وكيف سيخبرها بما حصل

مرت الدقائق وكأنها ساعات فخوفه عليها أكبر من فرحته التي أنتظرها أعوام وهاجسه الوحيد أن تبقى حبيبته بخير

خرجت الممرضه لتخبره بأن الجنين ما زال على قيد الحياة لكن الأمل ببقائه حياً جدا ضعيف فهو لم يكمل الشهر السادس بعد طمأنه الطبيب على زوجته قائلا:

إنها بخير لكنها ما تزال تحت تأثير المخدر وأنصحك بارسال الجنين لحاضنه مع ضعف الأمل بحياته

بدأ الصراع يتفاقم في داخله

ماذا سيقول لها؟ هل سيزرع في قلبها أملا غير أكيد؟

أم يخبرها بأن الجنين خلق ميتاً وهذا الأقرب للواقع فالجنين لم يكمل شهره السادس بعد وهي تعلم أن الجنين لا يمكنه أن يعيش في هذا العمر من الحمل قرر الإحتمال الثاني وقبل أن تستفيق من التخدير أخذ الطفل لمشفى خاص موصيا الجميع بأن لايخبروها وترك الأمر لله في مصير ولده

استفاقت من التخدير والدموع تملأ عينيها مدركه جيدا أن جنينها قد مات حاول

تهدئتها قائلا: حبيبتي هذا ما وعدنا الله به وقدره فاحتسبي أمرك لله ولن ينساك وسوف يعوضك إن شاء الله خيرا

امضت يومها في المشفى ثم خرجت لبيتها مهيضة الجناح مكسورة القلب فاقدة لحلمها الذي انتظرته طويلا ولم يكتمل احتضنها مواسياً وقال لها: لا تضيعي أجرك اصبري حبيبتي فالله لا يضيع أجر من احتسبه

مسحت دموعها واستغفرت ربها فهي المؤمنة الصابرة لن تضيع كل ما بنته من يمان بقدر الله في حياتها وحبست غصتها قائلة: الحمد الله على كل حال لن أعصي ربي وسوف أدعوه في صلاتي أن يعوضني خيراً ويؤجرني في مصيبتي

مضت الأيام ثقيله عليها وهي تحاول أن تداري حزنها وتداوي جرحها بينما هو يذهب كل يوم ليطمئن على صغيره

لم يكن الأمر سهلا عليه وهو يرى زوجته حزينة مكسورة لفقد حلمها ورؤيته لطفله في الحاضنه يقاوم الموت ليعيش وكأنه قد أحس بقلب أمه المكسور يريد أن يحيا ليعيد لقلبها نبضه الذي ينبض على دقات نفسه وبدأ التحسن يظهر تدريجياً والأ تغمره سعادة لا توصف عندما يزوره ويطمئنه الطبيب عن حالته

ودخل شهر آذار وهو الموعد الذي اتفقا عليه ليكون موعدا لولادتها ولتستحق الأمومه بعيد الأم وتذكر الأب ذلك الإتفاق وكان الطفل قد أتم شهوره الثلاثه وهو الآن بأحسن حال

ولمعت في ذهنه الفكرة ولِمَ لايحقق رغبتها وقد منّ الله عليه بشفاء ولده؟

وعندما قابله الطبيب قائلا :بإمكانك أخذ ولدك فقد أصبح بأحسن حال

رد عليه: أشكرك وأحمد الله لكن لي طلب صغير أرجو ابقاء ولدي ليوم غد وهو عيد الام لأنني سوف آخذه هدية لوالدته

لمعت عينا الطبيب بالدموع: لك ماتريد بارك الله بك حقا إنك مثال للزوج وللأب حفظك الله وحفظ لك ولدك

وفي اليوم التالي استيقظ باكرا كالمعتاد لكنه لم يذهب لعمله فقد أخذ إجازة ليتم مراسم خروج ولده من المشفى وليقوم ببعض الأمور ذهب للسوق واشترى لزوجته هدية تليق بها واصطحب الطفل من المشفى والدموع تملأ عيونه ففرحته لا توصف ينظر لطفله نظرة ويفكر بزوجته وماذا ستفعل هل ستصدق؟؟

أسئلة كثيرة دارت في ذهنه

كان خائفاً من صدمتها بالخبر ودعى الله أن يعينه ويقف معه كما كان معه طيلة الشهور الثلاث وصل للبيت فوجدها نائمه وضع الصغير في غرفته التي جهزاها له وأغلق الباب وذهب ليوقظها

ناداها: حبيبتي ما زلت نائمه هيا انهضي فاليوم عيدك لقد أتيتك بالهدايا

نهضت من فراشها محاولة اخفاء دموعها قدم لها باقة ورد قائلا: كل عام وأنت لنا خير وأحن أم

(لنا)مَنْ؟ قالت بتعجب ثم أجهشت بالبكاء أنا لا أنجب ولن يناديني أحد "ماما" احتضنها بحنان وقبلها على جبينها يكفي دموعاً يا حبيبتي وقولي ماذا تريدين هدية؟ أطلبي ولك ما تشائين

: لا أريد شيئاً ما أردته لم يرده الله فالحمد لله على ما أراد وعسى الله أن يعوضني في العيد القادم

صمت قليلا ثم أمسكها بيدها قائلا: لكنني أتيتك بهديه وأرجو أن تنال اعجابك وتسعدي بها هيا تعالي لأريك إياها إنها هناك في الغرفة

وعلا صراخ الطفل باكياً فتسمرت في مكانها وتوسعت عيناها واحمر وجهها غضباً وقالت: هو صوت طفل

من يكون؟ لاأريده صدقني سأنجب لك من جديد قلت لك مراراً لا أريد أن أتبنى طفلا صدقني أرجوك لن يخذلني ربي فقط اصبر هي مسألة وقت ثم بكت بكاء شديداً أرجوك أعده من حيث أتيت به لا أريد طفلا غير طفلي وطفلك أرجوك

: اصمتي ولا تتكلمي وتعالي ثم احكمي تناول الطفل ووضعه في حضنها
حاولت أبعاده لكن شيئاً غريباً شدها إليه نظرت للطفل الذي توقف عن البكاء
مذ لامس جسده الصغير نبضات قلبها
وتساءلت: لماذا يتوق قلبها لاحتضانه ولماذا توقف عن البكاء عندما استقر في حضنها؟
هي الأم التي ترى بقلبها قبل عيونها
صرخت بزوجها: من هذا ولماذا هذا الإحساس الغريب تجاهه؟
قال لها باكياً: حبيبتي هو(محمد) ولدنا وقص عليها ما حدث وأنه كان طيلة الأشهر الماضيه كان في الحاضنه
هو يتحدث وهي تذرف الدموع حاضنة ولدها تكاد تعيده لقلبها تحمد الله وبأعلى الصوت تشكره وتقول:
أحمدك ربي
لم تخيبني لقد علمت أن جزاؤك للصابرين عظيم لكن كرمك معي فاق التصور ولطفك بولدي كبير
ربي إني أعيذه من كل شيطان رجيم ومن كل مرض سقيم واجعله ربي لي ولوالده من الصالحين واحفظه لأبد الابدين
والتفت لزوجها تحتضنه وبدموعها تشكره: حفظك الله لي يا خير الأقدار

الفهرس

المؤلفة في سطور.....06
الحارس الأمين.....07
حب وشاشة زرقاء.....09
فستان العيد.....11
قارئة الفنجان.....13
إرادة.....16
الجدة.....18
خذلان..... 21
ونيس.....22
وجع القدر.....24
نجوى.....26
جنة المأوى.....28
رد الجميل.....30
قدر مشؤوم.....32
لما التقينا؟.....34
انتظار بلا أمل.....36
انتماء.....38
انشودة الصباح.....39
خيبة حلم.....41
غربة الروح.....42
حسرة.....44
صحوة.....49
وعادت الحياة.....50
خيبة.....53
أمنية.....55
كسر القيود.....56
حدث ذلك بداية الحرب.....58
ضاع الحلم.....61
رحيل.....63
مخاض الذات.....64
تشيب الرؤوس ولا تشيب القلوب.....67
ظمأ.....70
انتظار.....75
هجرة الطيور.....77
ويبقى الأمل.....79
يا بحر.....84
هبة السماء.....85

للنشر والتوزيع